

## الفصل الرابع: الأصول السياسية الاعتقادية لجماعة الإخوان:-

### المبحث الأول: ملامح الاتجاه العقدي عند الإخوان المسلمين:-

الفكر النظري للجماعة متناقض مع نفسه من جهة ومع واقع وممارسة الجماعة من جهة أخرى وللنظر إلى ملامح اتجاههم العقدي التي أوضحها الأستاذ ممدوح عبد الحليم فقال:

١ - اعتقد أن الأمر كله لله وأن محمد ﷺ خاتم رسله إلى الناس كافة وأن الجزاء حق وأن القرآن كتاب الله وأن الإسلام قانون شامل لنظام الدنيا والآخرة،  
وأتعهد بأن أرتب على نفسي حزبا من القرآن الكريم، وأن أتمسك بالسنة المطهرة، وأن أدرس السيرة النبوية وتاريخ الصحابة الكرام.

٢ - اعتقد أن الإستقامة والفضيلة والعلم من أركان الإسلام .  
وأتعهد بأن أكون مستقيما، وأدب العبادات، وأبتعد عن المنكرات، فاضلا أتخلى بالأخلاق الحسنة، وأتخلى عن الأخلاق السيئة، وأتحرى العادات الإسلامية ما استطعت، وأؤثر الحبة والود على التحاكم والتقاضى فلا لجأ إلى القضاء إلا مضطرا، واعتز بشعائر الإسلام ولغته وأعمل على بث العلوم والمعارف النافعة في طبقات الأمة .

٣ - اعتقد أن المسلم مطالب بالعمل والتكسب، وأن في ماله الذي يكسبه حقا مفروض للسائل واخروم .

وأتعهد بأن أعمل لكسب عيشي، واقتصد لمستقبلي، وأؤدي زكاة مالي، واخصص جزءا من إيراداتي لأعمال البر والخير، وأشجع كل مشروع اقتصادي إسلامي نافع، وأقدم منتجات بلادي وبني ديني ووطني، ولا أتعامل بالربا في شأن من شئني، ولا أتورط في الكماليات فوق طاقتي .

٤ - اعتقد أن المسلم مسئول عن أسرته وأن من واجبه أن يحافظ على صحتها وعقائدها وأخلاقها

وأتعهد بأن أعمل لذلك جهدي، وأن أثبت تعاليم الإسلام في أسرتي، ولا أدخل أبنائي أية مدرسة لا تحفظ عقائدهم وأخلاقهم، وأقاطع كل الصحف والنشرات والكتب والهيئات والفرق والأندية التي تناوى تعاليم الإسلام .

٥ - اعتقد أن من واجب المسلم إحياء مجد الإسلام بإفحام شعوبه وإعادة تشريع، وأن راية الإسلام يجب أن تسود البشر، وأن من مهمة كل مسلم تربية العالم على قواعد الإسلام.  
وأتعهد أن أجاهد في سبيل أداء هذه الرسالة ما حييت واضحي في سبيلها بكل ما أملك.

٦ - أعتقد أن المسلمين جميعا امة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية وان الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان إلى الناس جميعا

وأتعهد بأن ابذل جهدي في توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم.

٧ - أعتقد أن السر في تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه، وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون.

وقد كانت هذه أول مرة أصادف قوما يعتقدون ما أعتقد بتفاصيله ودقائقه، ولكن تجربتي السابقة أفقدتني الثقة في الذين يدعون العمل بالإسلام<sup>(١)</sup>.

الواقع يكذب ذلك فان هناك مخالفات عقائدية وشرعية عديدة وقعت في فكر هذه الجماعة .

ويمكن إرجاع أصول الخلل العقدي عند هذه الجماعة إلى ثلاثة أصول:-

الأصل الأول:- (الحساسية المفرطة من العقيدة)

وما يرتبط بما من كتب وحلق علم، ومنشأ هذه الحساسية ارتباط هذه العقيدة في أذهان الجماعة بمفهوم الفرقة بين المسلمين الذي هو أشد ما يكون مصادمة لمنهج جماعة الإخوان<sup>(٢)</sup>، وهذه الحساسية يستمدون تبريرها شرعا من ذم القرآن أو السنة للفرقة بين المسلمين ثم الربط التاريخي والواقعي بين ما ذمه القرآن والسنة وبين مفهوم العقيدة تدريسا وتأسيسا وهذا التبرير منتقد من جهتين .

جهة النقد الأولى: أن الذم الشرعي لا يلحق المستمسكين بالحق، وأن تفرق الناس عنهم إلى أودية الضلال يتوجه إلى المفارقين للحق وأهله فهم يناط وصف الفرقة وعليهم يسجل وزرها وبرهان ذلك، قول تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)<sup>(٣)</sup>.

جهة النقد الثانية: أن الافتراق تاريخيا وواقعيا ليس بسبب تدريس العقيدة الصحيحة من حيث هي، وإنما بسبب انحياز أهل الباطل عن أهل الحق بعقائدهم ومناهجهم وانصرافهم بداعي الهوى عن جماعة المسلمين الأولى، وبالتالي فاخلل الصحيح للحساسية هو الحساسية من العقائد الباطلة لتسببها في تفريق المسلمين وليس العقيدة من حيث هي .

ونحن معاشر أهل السنة أصحاب حق أعتدي على عقيدتنا أهل الضلال فقاومناهم بالطرق

(١) ينظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم، دار الدعوة، (١/٤٤، ٤٥).

(٢) هذا رجل من كبار رجال الإخوان المسلمين في بلدة الأردن وهو عبد الله عزام يهون من قضية دراسة العقيدة بطريقة واضحة لا لبس فيها ولا عوج فيقول (وليست العقيدة هي أن تعلم أن الله في السماء فحسب هذه تتعلمها في جلسة واحدة).

(٣) سورة المائدة: الآية (١٠٥).

الشرعية ورضينا بحكم الله بيننا وبينهم، بيد أن الإخوان يطالبوننا بتناسي الحق وإهماله دفعا للفرقة، ويعتقدون أن مطالبتنا بالحق هي سبب الافتراق والحق أن سببه اعتداء المعتدين من أهل البدع على العقيدة.

الأصل الثاني:- (قطع الصلة بعلماء السنة)<sup>(١)</sup> (٢).

من مظاهر هذا الأصل:-

- ١ - عدم العناية بحلق علماء السنة والجلوس عندهم لطلب العلم.
- ٢ - عدم الرجوع إلى فتاواهم في النوازل والملمات.
- ٣ - عدم الاعتداد بنصائح علماء السنة المتوالية .
- ٤ - عدم الاعتناء بمؤلفات علماء السنة تدريسا وتداولاً.

من طرق هذا الأصل:-

- ١ - زعمهم أن علماء السنة يجهلون الواقع.
  - ٢ - رمى علماء السنة بالمداينة والعمالة للحكام .
  - ٣ - رمى علماء السنة بالشدة مع المخالفين والتتبع في الأحكام الشرعية .
  - ٤ - تصيد الزلات والعثرات لأفراد العلماء ونشرها في الناس تنفيراً لهم .
- الأصل الثالث:- (فتح نوافذ الضلال بتسييد البدعة وتنصيبهم قادة ومنظرين)<sup>(٣)</sup>

(١) ليس أدل علي ذلك من رميهم علماء السنة بالعمالة وأهم علماء البترول والدولار، وليس أدل على صدق ما أقول من هذا المقال الذي نشرته صحيفته (الصباح الجديد)، وهي صحيفة أسبوعية يصدرها مكتب صحافة الاتجاه الإسلامي - أي الإخوان المسلمون - بجامعة الخرطوم ١٧/٢/١٩٨٢م حيث قالت: (بسم الله الرحمن الرحيم. مع تبشير النصر، مشايخ الخليج يستصدرون الفتاوى البترو - دولاريه ضد الحميين، إسلام الريالات أم إسلام القيم؟؟ أن يقف الإعلام الغربي ضد الحكومة الإسلامية في إيران فهذا شيء مألوف، وأن يعارضها الشيوعيون فهذا شيء طبيعي، ولكن لماذا يعاديبها شيوخ الخليج وتحت مظلة الدين؟ أو بعبارة أخرى (الإسلام ضد الإسلام)، ولكنه إسلام الركون ضد إسلام الجهاد، وإسلام العجز ضد إسلام الاستشهاد، وإسلام الريال ضد إسلام القيم، وإسلام أعوان الظلمة ضد إسلام جند الله المجاهدين، على أنهم يتمنون من أعماق قلوبهم أن تكون هذه الثورة باطلا، وأن يكون شيوخ الخليج بقيادة أمير المؤمنين (.....) على درب الإسلام الصحيح، ولأن إسلام الدجاج الفرنسي الشهير (المذبوح وفقا للتعاليم الإسلامية) أفضل وأجمل وأمتع من إسلام الحرب والخنديق).

(٢) وليس فعل الشيخ محمد الغزالي ببيع عن الفكر الإسلامي وذلك في كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) فقد ماله بمعاداة أهل الحديث.

(٣) من موافقتهم لعلامات أهل البدع تكفيرهم لعامة الناس كما تقدم بيان ذلك عن سيد قطب في كتابه (الظلال) و(معالم في الطريق) وقد تقدم بيان انحرافات سيد قطب في ذلك، وقد توافقوا مع أهل البدع في رفعهم شعارات الأحزاب كما مر بنا والمناداة بالديمقراطية الزائفة والعمل بالقوانين المدنية التي ما أنزل الله بها من سلطان وقد تقدم الرد عليهم في ذلك وأهم يخالفون التوحيد بأنواعه الثلاث من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات كما يخالفون القواعد الكلية للشرعية الإسلامية، وقد تقدم بيان ذلك مفصلاً، وغير ذلك من موافقتهم لأهل البدع في كثير من المسائل كالاحتفال بالمولد النبوي ولبلة الإسراء والمعراج وسيأتي بيان ذلك مفصلاً في الباب الثالث .

هذا الأصل ظاهر بين علماء الإخوان فهم خليط من الصوفية والأشاعرة، ومعظم المفكرين منهم متأثرون بالنزعة العقلانية في الموقف من نصوص الوحي، والكثير منهم يؤمن بنزعة عصره الدين وتطويره حتى يتوافق مع متطلبات العصر بلا قيود أو ضوابط شرعية .

لذا فلا عجب أن ترى الضلالات متراكمة في أذهان أفراد هذه الجماعة.

ومن ذلك استحسان المبتدعة صغاراً وكباراً لمسلك هذه الجماعة واحتفاء أهل التصوف خاصة بدعوتهم ورضاهم عنها.

ومن ذلك نشوء الطوائف الغالية في التكفير والرائدة في مجال الفتن في أحضان هذه الجماعة لانعدام الرادع من العلم المتين كجماعة التكفير وجماعة الجهاد الإسلامي.

ومن ذلك تلون الجماعة في كل بلد باللون المناسب لأهل البلد.

### المبحث الثاني: ملامح الاتجاه الفقهي عند الإخوان المسلمين:-

الحكم والحاكم الإسلامي جزء مهم من الفقه الإسلامي لهما شروطهما ووظائفهما وقد خص العلماء من المذاهب الإسلامية كتباً باسم (الأحكام السلطانية) للحكم الإسلامي وهو ما يعبر عنه في الوقت الحاضر بـ (الفقه السياسي)، ولا ننكر أن هذا الفقه صار نسياً منسياً في القرون الأخيرة عند أكثر المشتغلين بالفقه .

من هنا طرح حسن البنا في منهجه التربوي السياسي خمسة مراحل يمكن الوصول بعدها إلى الخلافة الإسلامية .

١ - تكوين الفرد المسلم .

٢ - إنشاء البيت المسلم.

٣ - تربية الشعب المسلم .

٤ - إقامة الحكومة المسلمة.

٥ - قيام الخلافة الإسلامية الكبرى التي تجمع ما مزقه الاستعمار<sup>(١)</sup>.

على ضوء هذا يمكن القول بأن الاتجاه الفقهي عند الإخوان يهتم أكثر ما يهتم بالفقه السياسي ويجعله محورا لدعوته، لكن تاريخهم يشهد أنهم مساكين في هذا الباب، فقد اخترقتهم الماسونية من جهة والمخابرات المعادية لهم من جهة أخرى، وما ذاك إلا لاشتغالهم في الفقه السياسي بمفردات تخدم أهدافهم لا بأصول العمل السياسي التي أقرتها مصادر السياسة الشرعية المنضبطة كالأحكام السلطانية وغيره .

وليس أدل علي ذلك من اعتراف قادتهم ومفكريهم بما سبقت الإشارة إليه.

---

(١) رسالة التعاليم، حسن البنا، ص ١٧٧ .

قال محمد الغزالي عن تولى المستشار حسن الهضيبي لمنصب المرشد العام للجماعة:  
(استقدمت الجماعة رجلا غريبا عنها ليتولى قيادتها وأكاد أوقن بأن من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية أرادت تدويخ النشاط الإسلامي الوليد فتسللت من خلال الثغرات المفتوحة في كيان جماعة هذا حالها وصنعت ما صنعت، ولقد سمعنا كلاما كثيرا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان ولكني لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تختق جماعة كبيرة على النحو التي فعلته، وربما كشف المستقبل أسرار هذه المأساة)<sup>(١)</sup>.

وهذا الاعتراف الصريح من الإخواني البارز محمد الغزالي أحد أقرب الشخصيات لحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان ثبت الآن صدقه، ففي دراسة حديثة تحمل عنوان (الماسونية والماسون في مصر) صدرت في كتاب عن سلسلة مصر النهضة بدار الكتب للباحث وائل إبراهيم الدسوقي جمع فيها الباحث تاريخ الحركة الماسونية في مصر واسم مشاهير الماسونيين المصريين جاء اسم المستشار حسن الهضيبي بينهم، هذا الرجل بادر الثورة بالعداء، وقبل قيام الثورة جبن وخاف وعندما طلب منه الرئيس عبد الناصر دعم الثورة عند اندلاعها رفض طلبه، وبعد الثورة طلب الوصاية عليها وأن تحكم جماعة الإخوان المسلمين البلاد، وعندما رفض عبد الناصر سعى الهضيبي لتخريب كل محاولات رأب الصدع بين الثورة والجماعة.

ولكن ليس حسن الهضيبي هو الماسوني الوحيد من رموز الإخوان بل إن سيد قطب شخصيا كان ماسونيا وقد ورد اسمه في نفس الدراسة السابقة عن الماسون في مصر.

لقد كتب محمد الغزالي في كتابه: (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث):  
(أن سيد قطب منحرف عن طريقة حسن البنا، وأنه بعد مقتل حسن البنا وضعت الماسونية زعماء لحزب الإخوان المسلمين، وقالت لهم: ادخلوا فيهم لتفسدوهم، وكان منهم سيد قطب).  
وللأسف الشديد قام محمد الغزالي بحذف تلك الفقرات من كتابه في طبعاته اللاحقة تحت ضغط قادة جماعة الإخوان المسلمين، ولكن النسخ المتوفرة من الكتاب طبعة عام ١٩٦٣م، وهي موجودة ومتداولة تحتوي تلك الاعترافات عن حسن الهضيبي وسيد قطب.

ويعترف سيد قطب لصديقه الكاتب سليمان فياض أنه ظل لمدة ١١ عاما ملحدا، وفي عام ١٩٣٤م نشر سيد قطب في الأهرام مقالا يدعو فيه للعري التام، وأن يعيش الناس عرايا كما ولدتهم أمهاتهم، وقد انضم سيد قطب إلى الحفل الماسوني الأكبر في مصر، وكان يكتب بعض مقالاته الأدبية في جريدة ماسونية هي التاج المصري، لسان حال الحفل الأكبر الماسوني المصري.

(١) من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م.

وسياقي في الباب الثالث من رسالتي مزيد من المواقف التي تؤكد فقرهم بل جهلهم المطبق بمبادئ العمل في ميدان السياسة الشرعية كما يجب ربنا ويرضي.

### المبحث الثالث: نظرية الجهاد عند الإخوان المسلمين:-

يعد الجهاد الركن الرابع من أركان البيعة عند الإخوان المسلمين كما ذكرها حسن البنا بعد الفهم والإخلاص والعمل من رسالة التعاليم .

والجماعة ترى أن الجهاد للدفاع فقط وهذا غير صحيح بل الجهاد شرع لنشر الإسلام وإزالة المعوقات التي تحول بينه وبين الناس ثم بعد ذلك لا إكراه في الدين.

وقد أكد القرضاوي ذلك حين قال (إنما فرض الإسلام الجهاد دفاعا عن النفس ومقاومة للفتنة والفتنة أشد من القتل وأكبر من القتل، قال الله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)<sup>(١)</sup>، وقال الله ﷻ (فَإِنْ اعْتَرَفُوا بِكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُواكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)<sup>(٢)</sup> .

هكذا خلط الإخوان المسلمين في نظرية الجهاد فأباحوا جهاد الدفع ومنعوا جهاد الطلب وقد تغافلوا أن إرهاب العدو بكل فئاته غرض شرعي .

قال الله ﷻ (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)<sup>(٣)(٤)</sup>

وآيات القرآن الكريم الآمرة بالقتال جاءت مطلقة لم يقيد فيها القتال بأنه لدفع العدوان أو في مقابلة قتال ومن ذلك: قول الله ﷻ (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)<sup>(٥)</sup>، وقوله ﷻ ( وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ) لأن القتال يعقبه النصر والظفر على الأعداء (وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ) وهذا عام في الأمور كلها قد يحب المرء شيئا وليس له فيه خير ولا مصلحة من ذلك: القعود عن القتال يعقبه استيلاء العدو على البلاد.

وقال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة البقرة : الآية (١٩٠).

(٢) سورة النساء: الآية (٩٠).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

(٤) ينظر : رؤية شرعية، في ضوء المعطيات الواقعية، د. منير جمعة احمد، ص ٤٩ .

(٥) سورة البقرة: الآية (٢١٦).

(٦) سورة التوبة: الآية (١٢٣).

وقال U ( وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ )<sup>(١)</sup>  
وقد ورد في السنة ما يؤيد قولنا في الجهاد وأنه طلب ودفع، ومن ذلك ما رواه ابن عمر  
t أن رسول الله ﷺ قال ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله فإذا قالوها عصموا  
منى دماءهم وأموالهم بحقها وحسابهم على الله))<sup>(٢)</sup>.  
وهذا نص على أن الأمر بقتال الناس هو للدخول في الإسلام أي أن القتال طريق الدعوة  
إليه؛ وتعليل هذا أن غير المسلمين إذا دعوا إلى الإسلام وأقيمت لهم دلائله الحقة كان إصرارهم  
على خلافه وإعراضهم عن اعتناقه والدخول فيه بمثابة إيذان المسلمين بالحرب فيجب على  
المسلمين أن يسوقوهم إلى الحق قسرا ما داموا لم يظعنوا له بالحكمة والموعظة الحسنة.

### المبحث الرابع: نظرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإخوان

#### المسلمين:-

من أهم نظرياتهم التي لاقت اهتماما بالغا في إطار دعوة الإخوان المسلمين : الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر، فهي تقوم على التعلم الصناعي وتأليف الجمعيات المعنية بخلاف الدعوة في  
الصدر الأول للإسلام، وذلك ظاهر في قول محمد عبده - رحمه الله - الذي كان يرى وجوب  
إقامة جماعة للدعوة إلى الله وفي إطار ذلك يقول : (الدعوة في الصدر الأول قد تيسرت بغير تعلم  
صناعي ولا تأليف جمعيات معينة، أما في هذا الزمان، فإن فهم الدين يتوقف على فهم التعلم  
الصناعي، وتتوقف الدعوة عليه، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يرتبط بتعليم خاص وتأليف  
جمعيات خاصة تقوم بهذا العمل، ولا ينتشر الدين ولا يحفظ على وجهه إلا بهذا كما في قول الله  
U ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ )<sup>(٣)</sup>.

فالمراد بالأمة أي: التي تقيمها الأمة لذلك ما يعبر عنه في عرف هذا العصر بالجمعية أي  
جمعية الإخوان المسلمين<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة التوبة : الآية (٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٨/٣)، كتاب الزكاة، باب : وجوب الزكاة (١٣٩٩)، ومسلم (٥٢/١)، كتاب الإيمان، باب : الأمر بقتال  
الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله (٢١/٢٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

(٤) ينظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية (شبهات وردود) د. توفيق الواعي، مكتبة المنار الإسلامية، ط١، ٢٠٠١م،

ومن ثم فإن نظرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدى الإخوان المسلمين مردها إلى الوسائل التي اتبعها الإخوان في تبليغ دعوتهم والمتمثلة في التعلم الصناعي وإقامة الجمعيات المعينة التي تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومع ذلك فإن تفريغ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من محتواه بحيث ينتج عنه ضرر أكبر أو يكون على وجه لا يحقق مراده بل يأتي بنتيجة عكسية أو أمر غير جائز وهذا ما وقع من كثير من الجماعات الإسلامية فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الأسس التي شرعها الإسلام لنشر الخير والوقوف في وجه الفساد وسد منافذه وتعطيل منابعه ونهى الناس عنه وعن كل ما يؤدي إليه وحثهم على الخير والعمل الصالح ولهذا تضافرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة صريحة في إلزام الأمة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال الله U (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)<sup>(١)</sup> ، وقال الله U (الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)<sup>(٢)</sup> ، وقال الله U (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)<sup>(٣)</sup> ، إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب .

وعن بن مسعود t قال رسول الله r ((إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتقى الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقيه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال (لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)<sup>(٤)</sup> .

ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو يضرين الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما

(١) سورة آل عمران : الآية (١١٠).

(٢) سورة الحج : الآية (٤١).

(٣) سورة التوبة : الآية (٧١).

(٤) سورة المائدة : الآيات (٨١:٧٨).



لعنهم))<sup>(١)</sup>

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا في حق كل مسلم تجاه الآخر، فهو بالضرورة واجب في حق الرعية تجاه ولي الأمر لأنه واحد من الأمة يخطئ كما يخطئون ويقصر كما يقصرون وينسى كما ينسون ومن ثم يأمر بالمعروف أن قصر فيه وينهي عن المنكر إن أقدم عليه، وهو ما أرشد إليه النبي ﷺ فيما روته أم سلمة رضي الله عنها حيث قالت قال رسول الله ﷺ ((إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة))<sup>(٢)</sup>.

قال النووي: (معناه من كره بقلبه ولم يستطع إنكارا بيد ولا لسان فقد برئ من الإثم وأدى وظيفته ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية ومن رضي بفعلهم وتابع فهو عاص)<sup>(٣)</sup>.

وعن طارق بن شهاب ؓ أن رجلا سأل النبي ﷺ وقد وضع رجله في الغرز أي الجهاد أفضل ؟ قال : ((كلمة حق عند سلطان جائر))<sup>(٤)</sup>.

يشترط ألا يكون أمر ولي الأمر بالمعروف ونهيه عن المنكر إفتياتا عليه و بشرط أمن الفتنة والفساد في المجتمع وذلك لان الاتجاه الغالب في الفكر السياسي الإسلامي هو علاج انحراف ولى الأمر بأكثر الأساليب بعدا عن إثارة الفتن وتمزيق وحدة الأمة ومن ثم كان من الطبيعي في الفكر السياسي الإسلامي أن يبدأ علاج انحراف ولى الأمر بالكلمة فان لم تجدي معه وخيف الفتنة وشق عصا الأمة تجاوزت الأمة عن انحراف الحاكم ما دام في الحدود التي يمكن التجاوز فيها<sup>(٥)</sup>.

### المبحث الخامس: الإخوان المسلمون ورؤية التغيير :-

رأى البنا أن التغيير مرتبط بتطبيق الأحكام الشرعية، وفي ذلك يقول د.عبدالقادر أبو فارس (ويرى (رحمه الله) أن الإخوان المسلمين وإن كان من خطتهم إستخلاص قوة التنفيذ من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله سيقدمون على خطوتهم هذه في ظروف مواتية ومناسبة لا في ظروف تسود فيها الحضارة الغربية المادية حضارة المادة والشهوات، وتسود فيها القيم والعادة

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٤/٢: ٥٢٥)، كتاب الملاحم، باب : الأمر والنهي (٤٣٣٦)، والترمذي (١٣٩/٥) أبواب التفسير باب: ومن سورة المائدة (٣٠٤٨)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١١٠٥) .

(٢) تقدم .

(٣) رياض الصالحين للنووي، تحقيق، مصطفى محمد عمارة، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ص ٥٩ .

(٤) أخرجه النسائي (١٦١/٧)، كتاب البيعة، باب : فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر، قال الأرنؤوط إسناده صحيح، انظر شرح السنة (٦٦/١٠) وصححه الألباني بطرقه في الصحيحة (٢٦٢/١).

(٥) ينظر : ٢٧١ ل. إلى دراسة النظام السياسي في الإسلام ص ١٢٧ .

الجاهلية، ولقد حدد هذه الظروف بتكوين جو إسلامي عام تسود فيه الأخلاق الإسلامية والقيم الإيمانية التي هي مبادئ الإخوان المسلمين، وعلى هذا فالإخوان المسلمين أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال فلا بد من فترة تنشر فيها مبادئ الإخوان وتسود ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة<sup>(١)</sup>.

وقد أضاف البنا أمرا آخر وهو إستكمال عدة الإيمان والوحدة، أي تغلغل العقيدة في قلوب أتباعه من الدعاة وتماسك صفوفهم ووحدة قلوبهم وتجمعهم حول فكرهم وقادتهم<sup>(٢)</sup>.

وذكر رحمه الله أن التغيير يكون بعد تكوين جيل مجاهد مخلص في جهاده قد فطم نفسه عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها، وقد بلغ هذا الجيل اثني عشر ألف مجاهد قد جهزت روحيا بالإيمان والعقيدة، وفكريا بالعلم والثقافة، وجسميا بالتدريب والرياضة، مستنبطا هذا العدد بهذه الصفات من حديث رسول الله ﷺ ((لن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة))، في هذا الوقت بالذات طالبوني أن أخوض بكم لجاح البحر واقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل عنيد جبار فاني فاعل إن شاء الله إني أقدر لذلك وقتا ليس طويلا بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيتته<sup>(٣)</sup>.

هكذا كانت شعارات الإخوان التي يستميلون بها القلوب ويجذبون بها الأفتدة والنفوس وإصغاء السمع إلى أقوالهم وأوامرهم.

### المبحث السادس: الإخوان المسلمون ونظرية الخلافة:-

الخلافة في فقه البنا رحمه الله شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها وإعادتها، ولكن إعادتها تحتاج لجهاد طويل ومجهودات كثيرة، والخلافة الإسلامية عنده يسبقها قيام حكومات إسلامية في البلاد الإسلامية بحيث يقوم كل شعب بإفراز الحكومات الإسلامية التي تحكمه بالإسلام ثم تتوثق الصلات بين هذه الحكومات الإسلامية وتندمج في دولة إسلامية عالمية وقد سمي ذلك الكيان الدولي للأمة الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

وقد ورد في رسالة المؤتمر الخامس (منهاج الإخوان المسلمين) تحت عنوان (الإخوان المسلمون والخلافة) قول الأستاذ حسن البنا (رحمه الله) (إن الإخوان المسلمين يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية ومظهر ارتباط بين أمة الإسلام والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله<sup>(٥)</sup>).

(١) رسالة المؤتمر الخامس من مجموعة الرسائل ص ٢٧٣ .

(٢) السابق ٢٧١ .

(٣) السابق ص (٤١ ، ٤٠)

(٤) ينظر : الفقه السياسي عند الإمام الشهيد حسن البنا، د. محمد عبد القادر أبو فارس ص (٤٧).

(٥) الفقه السياسي عند الإمام حسن البنا، ص ٤٨ .

ومن ثم فإن الإخوان المسلمين يجعلون فكرة الخلافة والعمل على إعادتها على رأس مناهجهم وأولى اهتماماتهم .

### المبحث السابع: الإخوان وفقه الواقع:-

قال ابن الحاجب: (الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المكتسب من أدلتها التفصيلية بالاستدلال) (١).

قال صدر الشريعة: (الفقه عبارة عن الأحكام القطعية مع ملكة الاستنباط) (٢).

وأحسن ما قيل في تعريف الفقه هو تعريف البيضاوي حيث قال (الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية) (٣).

الواقع في الاصطلاح: هو ما تجرى عليه حياة الناس في مجالاتها المختلفة من أنماط المعيشة وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف وما يستجد من نوازل وأحداث (٤).

وفقه الواقع هو الحكم الشرعي الذي يلاءم المكلف في حالته التي هو عليها والواقع هو المختبر الحقيقي لدعاوى الإصلاح (٥).

قال ابن القيم: (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم أحدهما فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقته ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً) (٦).

ويعد فقه الواقع أصلاً من أصول الإخوان المسلمين إذ يقتضى النظر في أحوال الأمة ومعرفة أعدائها وفكرهم كما أنه من الضروري عندهم دراسة الواقع تلك الدراسة التي تتطلب من دارسها أن يتصدى لقضايا مجتمعه وأمته ويسعى لإقامة مجتمع يرتفع فيه لواء العدل والمساواة والإخوة الإنسانية الحققة والذي ينبري للاضطلاع بهذه المهمة لابد أن يدرس واقعه ومحيطه محلياً وإقليمياً ودولياً دراسة عميقة ليتعرف من خلال هذه الدراسة على عوامل قوته بكل أشكالها وعوامل ضعفه بكل أحوالها وليعرف حجم التحديات والمخاطر التي تحيط به من مجالات نجاحه

(١) مختصر المنتهى، لابن الحاجب (٢٥/١) .

(٢) فواتح الرحموت، مسلم الثبوت (٣/١) .

(٣) المنهاج (١٩/١) .

(٤) فقه الواقع أصول وضوابط احمد بوعود، كتاب الأمة بقطر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ١٤٢١ هـ - ص ٤٣ .

(٥) تأملات في الواقع الإسلامي، عمر عبید حسنة، ص ١٢ .

(٦) أعلام الموقعين، (٦٩/١) .

ومجالات إخفاقه، وبمعنى أشمل لابد أن يكون مستوعبا تماماً للواقع وهذا ما يطلق عليه (فهم الواقع) <sup>(١)</sup>.

هكذا نظروا لمسألة فقه الواقع لكن التنظير شيء وواقع الأمر شيء مختلف، ففقه الواقع عندهم يختلف عن فقه الواقع عند أولى العلم.

فالمقصد في النظام الإسلامي ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان وإنما يخضع تطبيقه لاعتبارات فقه الواقع والنوازل ذلك لأن نصوصه كائنة في القرآن والسنة وهما النصان المجمع عليهما من قبل الأمة من غير محدودية بالزمان والمكان فلا يخضع المقصد تأصيلاً لمذاهب الأفراد وفلسفتهم.

بخلاف المقصد عند جماعة الإخوان المسلمين فلا نص على تأصيله ولا تصوغه قاعدة شرعية وإنما يخضع مضمونه لفلسفتهم التي تعتنقها الجماعة وهم دائماً يستخدمون مسألة فقه الواقع لتجهيل الآخرين.

### المبحث الثامن: موقف الإخوان من الشيعة:-

ساند الإخوان المسلمين الشيعة والتشيع والدعوة الشيعية وعملوا على نصرتها ومؤازرتها بكل طاقاتهم وزعموا أنه لا فرق بين الشيعة والسنة إلا كالفرق بين مذاهب أهل السنة والجماعة الفقهية (الحنفية، الشافعية، المالكية، الحنبلية).

ولإثبات أن قادة ومفكري ومنظري وثقات الإخوان المسلمين يؤيدون الشيعة وثورتهم إليك الدليل من البيانات الصادرة عن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين وكذلك مقالات الإخوان وكتب قادتهم ومفكريهم

١ - مجلة المجتمع الكويتية العدد (٤٣٤) بتاريخ ١٩٧٩/٢/٢٥م، نشرت المجلة بياناً صادراً عن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين عند قيام الثورة الخمينية ويقول البيان ما نصه وحرفه (الإخوان المسلمون في العالم يصدرين بياناً عاماً ووفد عالمي يمثل الحركة الإسلامية يقابل الخميني في طهران وبينما (المجتمع) تحت الطبع وصلنا البيان التالي الصادر عن الإخوان المسلمين في العالم، بسم الله الرحمن الرحيم ((دعا التنظيم الدولي للإخوان المسلمين قيادات الحركات الإسلامية في كل من تركيا، باكستان، الهند، إندونيسيا، أفغانستان، ماليزيا، الفلبين، بالإضافة لتنظيمات الإخوان المسلمين المحلية في العالم العربي وأوروبا وأمريكا إلى اجتماع أسفر عن تكوين وفد توجه إلى طهران على طائرة خاصة وقابل أية الله الخميني لتأكيد تضامن الحركات الإسلامية كافة وهي الإخوان المسلمون، حزب السلامة التركي، الجماعة الإسلامية في باكستان، الجماعة

(١) ينظر: الإخوان المسلمون، (كبرى الحركات الإسلامية - شبهات وردود) د. توفيق الواعي ص ٣٩٥.

الإسلامية في الهند، جماعة حزب ماشومي في الفلبين، وقد كان اللقاء مشهداً من مشاهد عظمة الإسلام وقدرته في الوقت اللازم على إذابة الفوارق العنصرية والقومية والمذهبية ((<sup>(١)</sup>).

٢ - كتب الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله المرشد العام للإخوان المسلمين مقالاً في مجلة الدعوة العدد ١٠٥ يوليو عام ١٩٨٥م بعنوان (شيعة وسنة) قال فيه (التقريب بين الشيعة والسنة واجب الفقهاء الآن)، وقال فيه أيضاً (ولم تفتقر علاقة الإخوان بزعماء الشيعة فاتصلوا بأية الله الكاشاني واستضافوا في مصر نواب صفوي كل هذا فعله الإخوان لا ليحملوا الشيعة على ترك مذهبهم، انظر!! ولكنهم فعلوه لغرض نبيل يدعو إليه إسلامهم وهو محاولة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى أقرب حد ممكن).

من هذه الآراء التي سقناها يتبين لنا أن الإخوان المسلمين نظروا إلى الدعوة الشيعية على أنها حركة إسلامية كغيرها من الحركات (الجماعات الإسلامية) المنتشرة في الدول العربية والإسلامية، وأنه يجب التقريب بينها وبين جماعة الإخوان المسلمين وتصحيح المسار الذي تسير فيه الدعوة الشيعية دون مغالاة أو شرود في الفكر وهذا واضح في كلام المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين عمر التلمساني منذ تأسيس جماعة الإخوان .

ومن الأمثلة المعاصرة التي تدل دلالة واضحة على تأييد الإخوان المسلمين للشيعة:

- (١) لم يستنكروا قتل أهل السنة في العراق، ولم يصدرُوا بياناً بذلك حتى وقت طباعة الرسالة.
- (٢) لم يستنكروا قتل أهل السنة في دماج.
- (٢) لم يستنكروا تشكيل الحوثيين ابتداءً، وتمردهم على حكومة بلادهم، ومن ثم إعتدائهم على أرض المسلمين.
- (٤) لم يعتبروا جماعة الحوثيين جماعة خارجة على الدولة، بل جعلوها على قدم المساواة مع الحكومات.
- (٥) حينما واجهت المملكة العربية السعودية التسلسل الحوثي بحزم وقوة، للدفاع عن المقدسات لم يصدر الإخوان المسلمين لمؤازرة المملكة، بل أصدرُوا نداءً لخادم الحرمين الشريفين يطالب بوقف التصدي للحوثيين، وعدم قتالهم، وهذا نص بياهم:

نداء من الإخوان إلى خادم الحرمين الشريفين لحقن دماء المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

(١) ينظر: وقفات مع كتاب (للدعاة فقط) (نقد علمي لجماعة الإخوان المسلمين)، محمد سيف العجمي، مكتبة الحنفاء، ص(٥٤:٥٢).

لقد آلم نفوسنا وأحزننا كل الحزن هذا القصف المتبادل وتلك الدماء المهدرة على الحدود اليمنية- السعودية، ودخول جيش المملكة العربية السعودية ساحة القتال الدائر منذ فترة بين أبناء الشعب اليمني الشقيق.

إن من حق المملكة العربية السعودية أن تحمي حدودها، وتحافظ على أمنها، ولكن دور المملكة العربية السعودية وعاهلها خادم الحرمين الشريفين أكبر من ذلك بكثير؛ بريادتها وقيادتها للعالم الإسلامي، ومكانتها الكبيرة، وهو دور الإصلاح بين المتخاصمين، ورأب الصدع بين المتقاتلين، وليس الاستدراج إلى دخول ساحة المعارك، ولها في تاريخها الحديث في عهد مؤسسها الملك عبد العزيز آل سعود ما يؤكد ذلك.

إننا ندعو العاهل السعودي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود إلى الأمر بوقف القتال فوراً؛ لمنع إراقة الدماء الحرام، وقتل المدنيين الأبرياء، ثم السعي جاداً إلى عقد لقاء بين الفرقاء اليمنيين لإصلاح ذات البين؛ حفاظاً على وحدة اليمن الشقيق، وسلامة أبنائه، والحفاظ على ثرواته ومقدراته، ومنع القوى المتربصة بالأمة العربية والإسلامية من الوقعة بين المسلمين.

وللسعودية دور بارز في ذلك قديماً وحديثاً، وللملك في أبيه - رحمه الله - القدوة الحسنة عندما استجاب لدعوة العلماء والفقهاء سابقاً.

وإننا ندعو كافة العلماء والفقهاء من أنحاء العالم الإسلامي للتدخل، ومناشدة العاهل السعودي وقف القتال وحقن الدماء، والسعي في الصلح بين المتحاربين.  
(الإخوان المسلمون)

القاهرة في: ٢٠ من ذي القعدة ١٤٣٠هـ الموافق ٨ من نوفمبر ٢٠٠٩م<sup>(١)</sup>.

وهذه المواقف جميعها تظهر تأييدهم القوي للرافضة، ومتاجرتهم بالدين.

### المبحث التاسع: موقف الإخوان من الأشاعرة:-

الأشاعرة : فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة، وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية على طريقة بن كلاب<sup>(٢)</sup>.

(١) موقع الإخوان أون لاين: <http://www.ikhwanonline.com/new/Article.aspx?ArtID=٥٦١٩٨&SecID=>

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٨٧/١)، البحر المحيط للزركلي (٦/٦٠٥٩)، أفعال الرسول (١١٠/٢).

وقد أثبت أبو الحسن الأشعري الصفات جميعها لله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تبديل ولا تمثيل، وصنف كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي عبر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم والذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بن حنبل ولا يناقض ذلك إلا تجاهل الأشاعرة له كما يتجاهل الرافضة الحسن بن علي بن أبي طالب ؑ، فلو وجدوا فيه بغيتهم ما تجاهلوا كتبه .

بعد وفاة أبي الحسن الأشعري وعلى يد أئمة المذهب وواضعي أصوله وأركانها أخذ المذهب الأشعري أكثر من طور تعددت فيها إجتهااداتهم ومنهاجهم في أصول المذهب وعقائده وما ذلك إلا لان المذهب لم يبنى في البداية على منهج مؤصل واضحة أصوله الاعتقادية ولا كيفية التعامل مع النصوص الشرعية بل تذبذبت مواقفهم واجتهداتهم بين موافقة مذهب السلف واستخدام علم الكلام لتأييد العقيدة والرد على المعتزلة.

ولقد تصدى شيخ الإسلام ابن تيمية لجميع المذاهب الإسلامية التي اعتقد أنها انحرفت عن الكتاب والسنة ومنهم الأشاعرة وبخاصة المتأخرة منهم وفيه كتابه القيم (درء تعارض العقل والنقل) فند آراءهم الكلامية وبين أخطاءهم وبين أن أسلوب القرآن والسنة هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة .

وبعد هذا العرض البسيط عن فرقة الأشاعرة وبيان حقيقتها فإننا نقطع أيضا بأن الإخوان المسلمين أشعرية المذهب والمسلك والهوى .

قال سعيد حوي وهو من أكابر منظريهم: في كتابه (جولات في الفقهين الكبير والأكبر) الجولة الأولى<sup>(١)</sup> ما نصه (إن للمسلمين خلال العصور أئمتهم في الاعتقاد وأئمتهم في الفقه وأئمتهم في التصوف والسلوك إلى الله U فأئمتهم في الاعتقاد كأبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي)، ويقول أيضا في الجولة الرابعة<sup>(٢)</sup> ما نصه (وسلمت الأمة في قضايا العقائد لاثنين أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي).

تُرى أين ذهب أهل الحديث كالإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) والإمام البخاري وغيرهم من صناديد السلف الذين دافعوا عن العقيدة السلفية وردوا على أصحاب العقيدة الأشعرية والماتريدية وغيرها من العقائد المخالفة، ومعلوم أن العقيدة الأشعرية والماتريدية عقيدة باطلة زائفة تقوم على تحريف كلام الله U وكلام رسوله ﷺ ونفي صفات الله U وتجهيل السلف وعقائدهم فكيف نوفق بين كلامك الذي تقول فيه بأن عقيدة الإخوان عقيدة سلفية صرفة وبين كلام سعيد

(١) ص ٢٢ .

(٢) ص ٦٦ .

حوي الذي يدعى فيه بأن الأمة (أشعرية وماتريدية) .

### المبحث العاشر: موقف الإخوان من المرجئة:-

المرجئة من كبار الفرق الضالة، وقد ذهبوا إلى أن الإيمان مجرد اعتقاد القلب وإقرار اللسان وان الأعمال ليست من الإيمان وعليه فهو لا يزيد ولا ينقص ومنهم من غلا فقال لا يضر مع الإيمان معصية وهم طائفتان :

الطائفة الأولى: الذين أرجئوا أمر على وعثمان حيث توقفوا فيهما ولم يصوبوا أحدهما وأول من تكلم بذلك محمد بن الحسن بن الحنفية .

الطائفة الثانية: الذين تكلموا في مسائل الإيمان وأخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وأشهر من تكلم بذلك هم:

١ - مرجئة الفقهاء يقولون: الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالقلب، ولو لم يعمل. فيلغون العمل، ولا يدخلونه في الإيمان، جاؤوا باثنين وتركوا الثالث، قالوا: إن العمل ليس بضروري ما دام أنه ينطق ويعتقد فيكفي هذا، وهذا مذهب باطل أيضا، لا بد من الأعمال، والله دائما يقرن الإيمان بالعمل (آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)<sup>(١)</sup>.

٢ - قول الجهمية<sup>(٢)</sup>: أن الإيمان هو المعرفة فقط، وما عداها من تصديق القلب وإقراره، ومن القول والعمل، فغير داخل في الإيمان، وهذا قول الجهم. ولازم قوله أن إبليس وفرعون ومن شابههم ممن عرف الله وعاند فسب الله ورسوله، وعاداهم، وقتل الأنبياء، وهدم المساجد، وأهان المصاحف - أنه مؤمن كامل الإيمان، ثم دخل فيهم الغيلانية<sup>(٣)</sup> والشمريّة<sup>(٤)</sup>،

---

(١) شرح عقيدة الإمام الجدد محمد بن عبد الوهاب لصالح بن فوزان بن عبد الله - مبحث الإيمان، (١/٣٦).

(٢) الجهمية: هم المعطلة نفاة الصفات، سمو بالجهمية، نسبة إلى جهم بن صفوان، مولي بني راسب، يلقيه البعض: بالترمذي، والبعض الآخر: بالسمرقندي، واتباعه يعرفون بالجهمية، نسبة إليه، وقد صار لقباً على معطلة الصفات عموماً، باعتبار أن الجهمية هي أول من قالت بنفي الصفات. انظر: مقالات الإسلاميين (١/٣٣٨)، الفرق بين الفرق، ص (٢١١)، التبصرة في أصول الدين ص (٦٣)، الملل والنحل (١/٨٦-٨٧)، تاريخ الطبري (٧/٣٣٥)، البداية والنهاية (١٠/٢٦-٢٧)، الخطط للمقرئ (٢/٣٥١).

(٣) الغيلانية، أصحاب غيلان، يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله الثانية، والحب والخضوع والإقرار بما جاء به الرسول، وبما جاء من عند الله سبحانه، وذلك أن المعرفة الأولى عنده، اضطرار فلذلك لم يجعلها من الإيمان، وذكر محمد بن شبيب عن الغيلانية أنهم يوافقون الشمريّة في الخصلة من الإيمان أنه لا يقال لها إيمان إذا انفردت، ولا يقال لها بعض الإيمان إذا انفردت، وأن الإيمان لا يحتمل الزيادة والنقصان. وأهم خالفوهم في العلم فزعموا أن العلم بأن الأشياء محدثة مدبرة ضرورة، والعلم بأن محدثها ومدبرها ليس باثنين ولا أكثر من ذلك اكتساب. وجعلوا العلم بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبما جاء من عند الله اكتساباً، وزعموا أنه من الإيمان إذا كان الذي جاء من عند الله منصوباً بإجماع المسلمين، ولم يجعلوا شيئاً من الذين مستخرجاً إيماناً ينظر الملل والنحل ج ١ ص (١٤٢).

(٤) هم أصحاب أبي ثمر ويونس يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله والخضوع له والحب له بالقلب والإقرار به أنه واحد ليس كمثله شيء ما لم تقم عليه حجة الأنبياء وإن كانت قامت عليه حجة الأنبياء فالإيمان الإقرار بهم والتصديق لهم والمعرفة بما جاء من عند الله غير داخل في الإيمان. ولا يسمون كل خصلة من هذه الخصال إيماناً ولا بعض إيمان حتى تجتمع هذه الخصال فإذا اجتمعت سموها إيماناً لاجتماعها وشبهوا ذلك بالبياض إذا كان في دابة لم يسموها بقاء ولا بعض أبلق حتى يجتمع السواد والبياض فإذا اجتمعا في=



والنجارية<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

٣- قول الكرامية<sup>(٣)</sup>: أن الإيمان قول باللسان فقط. وهذا لإثبات إيمانه في الدنيا، أما في الآخرة فمن لم يوافق قوله ما في قلبه من الاعتقاد الصحيح - كالمناق - فهو مخلد في النار، وأول ما حدثت بدعة الإرجاء كان ذلك في أواخر عصر الصحابة<sup>(٤)</sup>.

انتشرت عقيدة الإرجاء في صفوف جماعة الإخوان المسلمين وبخاصة في الجيل الجديد من جماعة الإخوان، حيث يسود الجهل بين كثير منهم وقد ساهم في ذلك إغراض الجماعة عن تدريس عقيدة أهل السنة والجماعة وغياب المنظومة العقائدية الموحدة للجماعة، وكذلك ساهم في ذلك سوء فهم البعض لكتاب (دعاة لا قضاة) للهضيبي حيث فهم البعض من عنوان الكتاب أننا دعاة فقط لا نكفر أحداً ممن ينتسبون للإسلام مهما قال أو فعل ولا نخرجه من الملة بحال وليس هذا هو المراد من الكتاب وإنما المراد هو ألا يكون التكفير هو شغلنا الشاغل ومهمتنا الوحيدة بحيث تطغى على الجانب الدعوى وليس المراد منه ألا نكفر مسلماً مهما قال أو فعل.

### المبحث الحادي عشر: موقف الإخوان من اليهود:-

في ١٩٤٨/٩/٥م بمدينة الإسماعيلية احتفل الإخوان المسلمون بمرور ٢٠ عاماً على إنشاء الجماعة وفي هذا الحفل خطب البنا خطبة قال فيها ( وليست حركة الإخوان موجهة ضد عقيدة من العقائد أو دين أو طائفة من الطوائف إذ أن الشعور الذي يهيمن على القائمين بها أن القواعد

---

=الدابة سمي ذلك بلقاً إذا كان بفرس فإن كان في جمل أو كلب سمي بقعاً وجعلوا ترك الخصال كلها وترك كل خصلة منها كفراً ولم يجعلوا الإيمان متبعضاً ولا محتملاً للزيادة والنقصان، ينظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لعلي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن ج ١ ص (١١٦) ط ٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(١) يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسوله وفرائضه المجتمع عليها والخضوع له بجميع ذلك والإقرار باللسان فمن جهل شيئاً من ذلك فقامت به عليه حجة أو عرفه ولم يقر به كفر ولم تسم كل خصلة من ذلك إيماناً كما حكينا عن أبي ثمر، وزعموا أن الخصال التي هي إيمان إذا وقعت فكل خصلة منها طاعة فإن فعلت خصلة منها ولم تفعل الأخرى لم تكن طاعة كالمعرفة بالله إذا انفردت من الإقرار لم تكن طاعة لأن الله - عز وجل - أمرنا بالإيمان جملة أمراً واحداً ومن لم يفعل ما أمر به لم يقطع، وزعموا أن ترك كل خصلة من ذلك معصية وأن الإنسان لا يكفر بترك خصلة واحدة وأن الناس يتفاضلون في إيمانهم ويكون بعضهم أعلم بالله وأكثر تصديقاً له من بعض وأن الإيمان يزيد ولا ينقص وأن من كان مؤمناً لا يزول عنه اسم الإيمان إلا بالكفر وهذا قول الحسين بن محمد النجار وأصحابه، ينظر مقالات الإسلاميين، (١١٧/١).

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبدالرحمن صالح المحمود، مبحث الأقوال في الإيمان، (١٣٤٩/٣)، مكتبة الرشد الرياض ١٤١٥.

(٣) الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني. الذين شبهوا الله بخلقه، وأطلق عليهم الأشعري اسم المجسمة، وذكر أن أقوالهم بلغت ست عشرة مقالة. (انظر: مقالات الإسلاميين ٢٨١/١، والفرق بين الفرق ص ٢١٦، ولوامع الأنوار البهية ٩١/١)، ولقد سار في هذا الطريق أيضاً مقاتل بن سليمان وهشام بن الحكم، قال ابن رجب (رحمه الله): (وقد أنكر السلف على مقاتل قوله في رده على جهم بأدلة العقول، وبالغوا في الطعن عليه، ومنهم من استحل قتله، منهم مكي بن إبراهيم شيخ البخاري وغيره). (انظر فضل علم السلف على الخلف ص (٨)).

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، مبحث الأقوال في الإيمان ج ٣ ص ١ (١٣٤٩).

الأساسية للرسالات جميعا قد أصبحت مهددة الآن بالإلحادية، وعلى الرجال المؤمنين بهذه الأديان أن يتكاتفوا ويوجهوا جهودهم إلى إنقاذ الإنسانية من هذا الخطر، ولا يكره الإخوان المسلمون الأجانب النزلاء في البلاد الإسلامية ولا يضمرون لهم سوءا حتى اليهود المواطنين لم يكن بيننا وبينهم إلا العلائق الطيبة<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني عشر: موقف الإخوان من النصارى:-

مما يثير مرارة الحزن أن الجماعة وأفرادها انطلقت كتائبهم تدافع عن حسن البناء وتاريخ الجماعة الذي تم تشويهه بحق في مسلسل ولم ينبري ربع العدد ولا عشره للدفاع عن طعن النصارى في الإسلام.

سئل البناء عن موقف الإخوان من النصارى؟ فقال: موقفنا من إخواننا المسيحيين في العالم العربي موقف واضح وقديم ومعروف لهم ما لنا وعليهم ما علينا وهم شركاء في الوطن وإخوة الكفاح. الوطني الطويل لهم كل حقوق المواطن المادي منها والمعنوي المدني منها والسياسي والبر بهم والتعاون معهم على الخير فرائض إسلامية لا يمتلك المسلم أن يستخف بها أو يتهاون في أخذ نفسه بإحكامها، ومن قال غير ذلك أو فعل غير ذلك فنحن منه براء ومما يقول ومما يفعل<sup>(٢)</sup>.

من ثم يتبين لنا الموقف الذي كان من الإخوان تجاه النصارى إذ وقفوا موقفا لا يتفق والإسلام. ليس أدل علي ذلك من انضمام النصارى لجماعة يفترض أن اسمها الإخوان المسلمين، فقد شارك النصارى الإخوان المسلمين في جماعتهم، إذ إن البناء قد اختار أعضاء منهم بغية التقرب إليهم والتزلق إلى الحكام، وسعيا إلى زيادة عدد الإخوان لا فرق في ذلك بين المسلمين والمسيحيين.

وبهذا يظهر أن جميع الناس لدى الإخوان المسلمين كان على حساب العقيدة والمنهج؛ فهم يريدون الإسلام بأي اسم كان، وبأي اسم خرج.

قال محمود محمد الصواف: في (صفحات من دفتر ذكرياتي) (والتقينا في مصر مع البناء (رحمه الله) وسألناه في الأمر، فقال لنا: سيروا مع الشيخ الصواف، فهذا هو الصحيح؛ لأننا لا نهمنا الأسماء، إنما نهمنا الدعوة الإسلامية، ويهمنا الإسلام بأي اسم كان، وبأي ثوب خرج)<sup>(٣)</sup>.

ومن المعلوم أن التجمع على مجرد مبادئ عامة وأفكار غامضة ليس هو الطريقة الفضلى، بل من الواجب أن يسبق التجمع الصحيح اتفاق على أفكار واضحة وفهم كامل شامل للإسلام

(١) قافلة الإخوان للسياسي (٢١١/١).

(٢) ينظر: حوار مع الإمام (حسن البناء) تقدمه أستاذ بدر محمود بدر، وحوار أستاذ محمود خليفة، دار الزهور للتوزيع، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٣٨.

(٣) جريدة المسلمون (العدد ٣٦، السبت ٢٨ المحرم - ٤ صفر ١٤٠٦ هـ الموافق ١٢ - ١٨ أكتوبر ١٩٥٨م، ص (١٠) عمود ١. - ٤٠٣ -

الذي نعمل على عودته إلى مركز السيادة والقيادة والتوجيه.

إن من المؤسف حقا أن يقرب الإخوان المسلمون النصارى بين أفراد المسلمين، وهذا من فعل الهوى بهم، فأضلهم وأعمى أبصارهم، وأوقع بهم الشيطان في حبال الدعاة إلى أبواب جهنم، كما أخبرنا عنهم الصادق المصدوق ٢ في حديث حذيفة بن اليمان ؓ: (كان الناس يسألون رسول الله ٣ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم" فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم، وفيه دخن" قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر". فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها" فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: "نعم قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا" قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم". فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"<sup>(١)</sup>.

وليس أدل علي ما ذهبت إليه أيضا من أن الإخوان قد وقفوا من النصارى موقفا لا يتفق والإسلام قوهم بسقوط الجزية عمن أدي منهم الخدمة العسكرية، فقد أفق القرضاوي بإعفاء النصارى من الجزية مقابل تجنيدهم في جيش الدولة الإسلامية.

وعلق الشيخ ربيع في كتابه (العواصم) على كلام القرضاوي، فقال رحمه الله: - (فمن يفهم كتاب الله ويعلم معاملة رسول الله للمشركون فسيجد أن هذا المجتهد قد أخطأ دون شك؛ لأن الله لم يفرض على أهل الكتاب إلا الجزية لإذلالهم وإصغارهم لأنهم أعداؤه وقد رفضوا دينه الحق، وسيجد أن رسول الله لم يأخذ منهم إلا الجزية ولم يخيرهم بينها وبين الخدمة العسكرية عملا بمقتضى الآية وهو المبين لمراد الله U، والصحابة والخلفاء وأئمة الإسلام لم يذكروا إلا الجزية وهي واحد من شروط كثيرة لإنزال أهل الذمة ووضعهم حيث وضعهم الله، وكتاب الله وسنة رسوله وأقوال علماء الإسلام لم يرد فيها جميعا أن الجزية فرضت على أهل الكتاب مقابل الخدمة العسكرية، فهذا لا يعرفه الإسلام ولا شرعه، وإنما تشرعه الأنظمة العلمانية انطلاقا من قواعدها الديمقراطية والوطنية<sup>(٢)</sup>.

هذا هو نفس تقرير سيد قطب في كتابه (نحو مجتمع إسلامي)<sup>(٣)</sup>، وهذا الكلام نقله سيد

(١) أخرجه البخاري (٣٧/١٣، ٣٨) كتاب الفتن، باب: كيف الأمر إذ لم تكن جماعة (٧٠٨٤)، ومسلم (١٤٧٥/٣، ١٤٧٦)،

كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين (٥١-١٨٤٧).

(٢) ص (٩١، ٩٢).

(٣) ص (١٢٣).

قطب عن النصراني سيرت وأرنولد.

وقال الشيخ ربيع: في كتابه (العواصم): (ويفرح بهذا القول الضال، وفي نفس الوقت لا يأنف من ضرب الجزية على المسلمين)<sup>(١)</sup>.

وقال (حفظه الله): وينقل هذه المهزلة عن نصراني أفك ويطير بها فرحا يرد بها على المغرضين كما يدعي.

### المبحث الثالث عشر: موقف الإخوان من التيار الليبرالي:-

العلاقة بين العلمانية والإخوان مشاركة فقد شارك الإخوان العلمانيين في كثير من الأحيان وقد امتدح الإخوان العلمانيين ممثلين في حزب الوفد، وفي ذلك يقول التلمساني: (لا يفوتني أن أشير أنه في عهد الوزارات الوفدية كان الناس يشعرون بأمن واطمئنان أكثر مما يشعرون في عهد غيرها من الوزارات الأخرى)<sup>(٢)</sup>.

وقال حامد أبو النصر: (علاقة الإخوان بحزب الوفد علاقة طيبة حتى الآن لأن الوفد أقدم الأحزاب الشعبية وله تاريخه في خدمة البلاد ثم إنه الحزب الوحيد الذي تبني فكرة الوحدة الوطنية التي أتت بأطيب الثمرات والتي يؤمن بها الإخوان وستكون علاقتنا بالوفد علاقة طيبة لا تنفصم)<sup>(٣)</sup>.

وقال مهدي عاكف: في تصريحات خاصة لجريدة المصري اليوم (إن الجماعة ستترك بعض الدوائر التي تتواجد فيها شخصيات مسيحية لها قبول وطني وتحظى باحترام جميع القوى الحزبية والسياسية وأضاف عاكف نقبل بالتنسيق مع الكنيسة ونرحب بهذا الموضوع وندعو لتوسيع هذا التنسيق في الدوائر الانتخابية وأشار عاكف إلى أن الجماعة عادة ما تتسق مع منير فخري عبد النور في دائرة الوايلي ولا نكتفي بترك الدائرة له بدون منافسة وإنما نساعد فيه.

وشدد عاكف على أن الكنيسة لو اختارت شخصيات لها فعل وأداء برلماني قوى فإنني أؤكد أننا سنترك الدائرة كاملة لها بل سنعطيهما أصواتنا .

وأضاف المرشد العام أن هناك ثلاثة مستويات للتنسيق مع هذه القوى إما أن تكون الدائرة شاغرة من مرشحي الإخوان فيترشح فيها أيا من المنتمين إلى القوى السياسية الأخرى .

وإما أن يكون بالدائرة منافس من الإخوان ومنافسون من القوى الأخرى فنختار الأفضل.

وإما أن يكون للإخوان مرشحون لا يمكن التنازل عنهم.

(١) ص (١٠٠).

(٢) ينظر ذكريات لا مذكرات ، عمر التلمساني، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٠٠.

(٣) ينظر : الاجتماع عدد (٧٧٥) ١٥/٧/١٩٨٦م .

من جهته قال السكرتير العام لحزب الوفد الدكتور رفعت السعيد: (إن أحزاب الوفد والتجمع العربي الناصري والإخوان المسلمون وثمانية جماعات معارضة أخرى شكلت معا الجبهة الوطنية للتغيير وأضاف أن الأرضية المشتركة التي سيتم العمل على أساسها ستصاغ إلا أن الجبهة لن تتقدم بمرشحين تحت اسمها في الانتخابات التشريعية المقبلة وفقا لما ذكرته وكالة الأنباء الفرنسية .

ولا يسعنا في النهاية إلا أن نردد، قول ربنا U في كتابه المين :  
(وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)<sup>(١)</sup>

وقول ربنا U ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ )<sup>(٢)</sup>

#### المبحث الرابع عشر: موقف الإخوان من الدساتير والقوانين الوضعية:-

كان للإخوان المسلمين موقف من الدساتير والقوانين الوضعية يتباين ذلك الموقف من الحوار الذي أجري مع حسن البنا حينما سأله المحاور الأستاذ محمود خليفة عن الفرق بين الدستور والقانون .

فأجاب قائلاً: (الدستور هو نظام الحكم العام الذي ينظم حدود السلطات وواجبات الحكام ومدى صلتهم بالحكومين والقانون هو الذي ينظم صلة الأفراد بعضهم ببعض ويحمي الحقوق الأدبية والمادية ويحاسبهم على ما يأتون من أعمال).

ثم أجاب عن موقف الإخوان من الدستور فقال (إن الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستوري التي تلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال وبيان حدود كل سلطة من السلطات هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم ولذلك يعتقد الإخوان أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام وهم لا يعدلون به نظاما آخر)<sup>(٣)</sup>.

من ثم فإن موقف الإخوان المسلمين من الدستور باعتباره قانونا وضعيا موقف الإقرار به . ومن اقتناعهم بالدساتير الديمقراطية ما صرح به حسن البنا حيث قال (إن مؤاخذتهم على

(١) سورة هود : الآية (١١٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١١٨).

(٣) ينظر : حوار مع الإمام حسن البنا، ص ٤١، ٤٢.

الدستور يمكن تغييرها بالطرق التي وضعها الدستور نفسه<sup>(١)</sup>.  
غنى عن البيان أن هذه الدساتير هي تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان وتصطدم مع التوحيد الخالص لله.

#### المبحث الخامس عشر: موقف الإخوان من الجماعات الإسلامية :-

عن موقف الإخوان المسلمين من الجماعات الإسلامية الأخرى،  
يقول حسن البنا: (موقفنا من الهيئات الإسلامية جميعا على اختلاف نزعاتها موقف حب وإخاء وتعاون وولاء نحبها ونعاونها ونحاول جاهدين أن نقرب بين وجهات النظر ونوفق بين مختلف الفكر توفيقا ينتصر به الحق في ظل الحب)، وإذا كان رأى حسن البنا المرشد الأول للإخوان المسلمين يتسم بالحب والتسامح فإن هناك العديد من قيادات الإخوان في مصر والعالم العربي يتنافي ورأى البنا ومن هؤلاء الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن الذي يرى بطلان هذه الجماعات الإسلامية الأخرى، ولما سئل عن سبب نشأة تلك الجماعات، قال: (حبا في الزعامة وتقلد المناصب لدى القائمين عليها).

كذلك يرى سعيد حوي أحد قادة الإخوان في سوريا في كتابه (في آفاق التعاليم) في المقدمة ما نصه: (ثم إنه قد نبتت هنا وهناك أفكار مريضة تريد أن تتخلص من دعوة حسن البنا ومن أفكاره فكان لابد أن يعرف هؤلاء وغيرهم أن الانطلاقة على غير فكر الأستاذ البنا في عصرنا قاصرة أو مستحيلة أو عمياء إذا ما أردنا عملا كاملا متكاملا في خدمة الإسلام والمسلمين)<sup>(٢)</sup>.

#### المبحث السادس عشر: موقف الإخوان من الأمريكان :-

إنهم يعلمون جيدا ومقتنعون باستحالة وصولهم للحكم إلا عن طريق إيجاد الأرضية المشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة العصا الغليظة في المنطقة.  
علاقة الإخوان بأمريكا هي علاقة حساسة ومن طراز فريد يحكمها المصلحة من ناحية والرعب والخوف من الشارع المصري الذي يرفض أمريكا من ناحية أخرى.... سعد الدين إبراهيم رئيس مركز بن خلدون للأبحاث تحرك منذ سنوات ليرعى لقاءات بالقاهرة بين دبلوماسيين غربيين وعدد من قادة الإخوان ولم يكن ذلك عفويا أو عشوائيا فهو معروف عنه (خاطبة أمريكا) في الشرق الأوسط ولم يكن ذلك إلا بضوء أمريكي بعدما وجدت ثمة تجارب إسلامية مشجعة بالنسبة للأمريكيين مثل حزب العدالة في تركيا وغيره... وهذا أكده أيضا من

(١) الحصاد المر للإخوان المسلمون في ٦٠ عاما، ص ١١٧.

(٢) ينظر مقدمة آفاق التعاليم لسعيد حوى .

قبل (ريتشارد هامس) مدير إدارة التخطيط السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية من أن الولايات المتحدة لا تخشى وصول تيارات إسلامية إلى السلطة لتحل محل الأنظمة القمعية العربية التي تسبب بتكميمها الأفواه في اندلاع أعمال الإرهاب ولكن شريطة أن تصل للحكم بوسائل ديمقراطية؛ لأنهم يعلمون علم اليقين بأنه ليس هناك أمل في وصول الإسلاميين في مصر أو غيره للحكم بدون تجهيز الأرض في العلاقة مع أمريكا وأوروبا سواء في التنظيم الدولي أو الأرخييل أو محيط تلك العناصر التي تتحرك في أوروبا من منطلق إسلامي وخاصة أن تلك الشخصيات لها علاقات تاريخية مع هذه البلاد التي أقامت فيها مثل أ/ طارق رمضان وغيره وبعضها يذهب لأمريكا ويتعامل مع شخصيات لها بوابات لواشنطن فبعض هؤلاء الأشخاص يقومون بهذا الدور وكثير من تلك المحاولات مستمرة ومتواصلة من جانب شخصيات بعينها لمحاولة التأسيس لفكرة علاقات طبيعية بين الحركات الإسلامية في العالم العربي والأوروبيين والأمريكان... فهذه الفكرة موجودة في محيط التنظيم الدولي للإخوان المسلمين وليس بالضرورة من خلال التنظيم الدولي للإخوان... ملف الإخوان مع أمريكا هو ملف شائك وحساس والمصلحة هي الفصيل في إيجاد وجود للجماعة في مصر وفي الشرق الأوسط فالإخوان المسلمين أيضا هم ورقة لن تتخلى عنها أمريكا فإذا كانت أمريكا قد أدارت ظهرها للإخوان المسلمين الذين كانوا خنجرها الذي غرخته في خاصرة عبد الناصر فلن تتخلى عنهم الفترة المقبلة خاصة على شاشة الشرق الأوسط وهناك تقارير أمريكية تشير إلى أن أمريكا في طريقها لبلورة استعادة تحالفها القديم مع الإخوان المسلمين وقوى تيارات الإسلام السياسي إلى مراحل تأهيلية وعلى طريقة بعض المراحل المدروسة حتى ولو كانت لاستخدام تلك الحركات للضغط على بعض الأنظمة العربية التي يراها الأمريكان أنظمة متخلفة...، وهناك نقطة مهمة يجب أن يعرفها القاصي والداني وهي أن اتصالات الإخوان بأمريكا ليست حديثة وإنما هي اتصالات قديمة وبدأت مع حسن البنا عندما قابل السكرتير الأول للسفارة الأمريكية في شقته بالزمالك (رجل المخابرات الأمريكية) وهذا ليس افتراء علي أحد وإنما هذا مسطر بأيدي الإخوان أنفسهم.

قال الدكتور محمود عساف: والذي يوصف برئيس جهاز المخابرات في جماعة الإخوان تحت عنوان: (سكرتير السفارة الأمريكية ما نصه: (إن فليب إيرلاند السكرتير الأول للسفارة الأمريكية بالقاهرة أرسل مبعوثا من قبله للأستاذ الإمام كي يحدد له موعدا لمقابلته بدار الإخوان ووافق الأستاذ علي المقابلة ولكنه فضل أن تكون في بيت إيرلاند حيث إن المركز العام مراقب من القلم السياسي وسوف يؤولون تلك المقابلة ويفسرونها تفسيراً مغلوطا ليس في صالح

الإخوان<sup>(١)</sup>، وتم في هذا اللقاء تدشين أول تحالف بين الإخوان والأمريكان لمحاربة التيار الشيوعي في مصر حيث يقول محمود عساف: (إن السفير الأمريكي قال لمؤسس الإخوان بلغة عربية سليمة إن موقفكم من الشيوعية معروف لنا ولقد عبرتم كثيرا عن أن الشيوعية إلحاد يجب محاربته وأضاف السفير الأمريكي إن الأساليب البوليسية لن تجدي في محاربة الشيوعية، بل ستزيد الشيوعيين إصرارا وتجعل الناس يتعاطفون معهم باعتبارهم معتدي عليهم....)<sup>(٢)</sup>.

- وكان التاريخ يعيد نفسه عندما استخدم الإخوان العمل السري.. واستخدم النظام المصري الأساليب البوليسية لمحاربة الإخوان ... فازداد الإخوان إصرارا على إصرارهم .. وتعاطف الناس معهم باعتبارهم معتدى عليهم ... فاكتسبوا أرضية في الشارع المصري!!! .

(فرد البنا علي السفير الأمريكي بقوله: إن الشيوعية التي بدأت تنتشر في بلادنا العربية وتعتبر خطرا كبيرا علي شعوب المنطقة شأنا في ذلك شأن الصهيونية بل هي أخطر في المدى القريب ولدينا معلومات كثيرة عن التنظيمات الشيوعية في مصر فقال إيرلاند: لقد طلبت مقابلتكم حيث خطرت لي فكرة وهي لماذا لا يتم بيننا وبينكم تعاون في محاربة هذا العدو المشترك وهو الشيوعية؟ أنتم برجالكم ومعلوماتكم ونحن بمعلوماتنا وأموالنا!!! قال البنا : لا مانع لدينا من مساعدتكم بأن نمدكم بالمعلومات المتوافرة عنها وحذا لو فكرتم في إنشاء مكتب لمحاربة الشيوعية فحينئذ نستطيع أن نغيركم بعض رجالنا المتخصصين في هذا الأمر، علي أن يكون ذلك بعيدا عنا بصفة رسمية ولكم أن تعاملوا هؤلاء الرجال بما ترونه ملائما دون تدخل من جانبنا غير التصريح لهم بالعمل معكم....)<sup>(٣)</sup>.

ولكن لأسباب خاصة بالأمريكان لم يرسلوا للبنا بتجهيز رجاله للعمل معهم وإن كان هو قد انتظر ذلك طويلا بحسب ما قاله القريبون منه ...

وفي عهد المستشار حسن الهضيبي المرشد الثاني قام بالاتصال بالسفارة الأمريكية في مصر بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بعدة شهور وطلب من المسؤولين في السفارة الأمريكية في اجتماع دام ثلاث ساعات تصفية بعض عناصر قيادة الثورة خاصة جمال عبد الناصر وانسحاب العسكريين من الحكم وطالب الهضيبي عن طريق ممثله الشخصي لدي الخارجية الأمريكية بتأييد الإخوان لمساعي التوصل لتسوية مع إسرائيل من خلال اتصالاتهم بزعماء اليهود في الخارج وفي إسرائيل..... المصادر التي استقينا منها هذه المعلومات هي عبارة عن الوثائق الأمريكية السرية لوزارة الخارجية الأمريكية والتي أفرج عنها في أغسطس سنة ١٩٨٤ وأتيح للباحثين الإطلاع

(١) مع الإمام الشهيد حسن البنا ص (٣٤٤) دار الكتب والوثائق المصرية ١٩٩٣م / ١٤١٥هـ .

(٢) السابق.

(٣) السابق .



علي ملفاتها من الوثائق السرية الأمريكية غير المنشورة ابتداء من عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٥٦ في الأرشيف القومي الأمريكي بواشنطن ومن الملفات المركزية لوزارة الخارجية التي تضم مئات من الملفات والآلاف من الوثائق المتصلة باتجاهات السياسة الخارجية لأمريكا نحو مصر في تلك الفترة ... أن اتصالات مندوب حسن الهضيبي الذي تربطه علاقة مصاهرة بالهضيبي لم تتم مع السفارة الأمريكية بالقاهرة فحسب بل مع إدارة الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية ليؤكد الفائدة من توثيق صلات الولايات المتحدة بالإخوان وهذا من خلال التقارير المرسلة من السفارة الأمريكية وليس هذا فحسب بل إن أحد نواب المرشد الأول حسن البنا في الأربعينيات كان عميلا للسفارة الأمريكية في مصر ولشدة حرصه كان يلتقي بمندوب السفارة في منزل أحد الصحفيين ليسلم هذا المندوب التقارير المطلوبة عن نشاط الإخوان وهذه التقارير بخط يده....

في دراسة أعدتها الجماعة حول إستراتيجية تعاملها مع الولايات المتحدة الأمريكية تحمل عنوان : (رؤية الإخوان للسياسة الأمريكية وكيفية التعامل معها) انتهت الجماعة إلى وجوب استمرارية الإعلان عن معارضة الجماعة لسياسة الإدارة الأمريكية، مع استمرار السعي لفتح قنوات اتصال معها في ذلك الوقت ... ) .

في أواخر ٢٠٠٤ عقد التنظيم الدولي للإخوان اجتماعا في العاصمة التركية اسطنبول، شارك فيه ممثلو الأجنحة الإخوانية بكل مصر ( مصر — فلسطين — الأردن — الجزائر ) تمت خلاله مناقشة الانفتاح علي الإدارة الأمريكية انطلاقا من العلاقة القديمة والمستمرة بينهما....

كما استغلت الجماعة سماح السلطات للدكتور عبد المنعم أبو الفتوح للسفر خارج البلاد بالنظر لموقعه كأمين اتحاد الأطباء العرب للمشاركة في حضور المؤتمرات التي يشارك فيها مسئولون أمريكيون ومن بينها مؤتمر عقد بالعاصمة التركية اسطنبول نهاية شهر أبريل عام ٢٠٠٥ تحت عنوان (الجمعيات الأهلية ومؤسسات المجتمع المدني) شارك فيها من الجانب الأمريكي، ريتشارد ميرفي (المساعد السابق لوزير الخارجية الأمريكي لشئون الشرق الأوسط) وجورج تينت (الرئيس السابق للمخابرات الأمريكية)، ومن الإخوان الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، كما التقى أيضا الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح ومهدي عاكف، بالأمريكي جون شانك وهو شخصية بارزة بالكونغرس الأمريكي خلال شهر سبتمبر عام ٢٠٠٤، والذي أبلغهما استعداد السفير الأمريكي بالبلاد لاستقبال قيادات الجماعة والاستماع لوجهة نظرهم واقتراحه بتشكيل وفد إخواني لزيارة أمريكا والالتقاء بالمسؤولين بوزارة الخارجية، كما عقد ممثلو الحكومة الأمريكية عدة لقاءات مع العديد من الرموز الإخوانية ونوابها بمجلس الشعب من بينها لقاء النائب محمد سعد الكتاتني (مسئول الكتلة البرلمانية للإخوان) بزعيم الأغلبية الديمقراطية بمجلس

النواب الأمريكي "ستاني هويد" بمنزل السفير الأمريكي بالقاهرة في ٤/٤/٢٠٠٧م خلال حفل الاستقبال الذي أقامه السفير الأمريكي بالبلاد بمناسبة زيارة وفد الكونجرس للقاهرة، وسبق هذا اللقاء، لقاء آخر للنائب سعد الكتاتني بالمستشار السياسي للسفارة الأمريكية بالقاهرة للحصول علي تأشيرة دخول للولايات المتحدة الأمريكية خلال شهر مارس ٢٠٠٧، حيث أبلغه الدبلوماسي باختياره كمندوب اتصال بين جماعة الإخوان والإدارة الأمريكية!!!!!!.... الجدير بالذكر أن الكتاتني هو رجل أمريكا داخل الجماعة !!!!.

(من المضحكات المبكيات أن تجد بعض من المحللين السياسيين يصف الإخوان باعتبارهم جماعة معتدلة!!!!!!..... هذا ليس صحيحا ومن يقول ذلك إما لا يعرفهم حق المعرفة أو انه يقول ذلك لأنه مرتبط معها بمصالح معينة ..... لأن كل الأحداث تؤكد أن هذه الجماعة ليست معتدلة في تصرفاتها وهذا ما أكدته علي عشاوي آخر قادة التنظيم الخاص لجماعة الإخوان حيث أوضح أن العنف الذي حدث في الجزائر سببه أن رئيس جامعة الجزائر لفترة طويلة استطاع أن ينفذ خطة الإخوان في تربية مجموعات جبهة الإنقاذ الجزائرية مستعينا بخبرته القديمة باعتباره أحد رجال الجهاز السري للإخوان ..... ويقصد به الشيخ محمد الغزالي الذي تولى رئاسة جامعة الجزائر لمدة طويلة ... ويوضح عشاوي: لم يكن الإخوان المسلمين في يوم من الأيام تيارا معتدلا ولن يكونوا .... لأن ذلك ضد طبيعة تكوينهم ونشأتهم وتاريخهم فالتيار معتدل في الحقل الإسلامي هم آباؤنا وإخوتنا الذين يؤدون فروض الإسلام ويرتادون المساجد آناء الليل وأطراف النهار دون أن يكون لهم هدف آخر غير رضا الله، وهم يمثلون الغالبية العظمى من المسلمين الموجودين في ديار الإسلام علي اتساعها دون صخب أو ضجيج.....) (١).

#### المبحث السابع عشر : موقف الإخوان من إسرائيل :-

لقد عارض الإخوان سياسة السلام مع إسرائيل وانتقدوا معاهدة كامب ديفيد وتطبيع العلاقات مع إسرائيل وصدر هذا الموقف للجماعة على صفحات مجلة الدعوة في أعداد كثيرة (٢).  
وقد بين الإخوان المسلمين أن الطريق إلى تحرير المقدسات الإسلامية هو تطبيق شرع الله وإعلان الجهاد ضد اليهود (٣).

(١) تحالفات الظلام بين الإخوان والأمريكان لحمدى السعيد سالم، جريدة الحوار المتمدن العدد ٣٥٦٣، ١/١٢/٢٠١١م.

(٢) ينظر : ذكريات لا مذكرات عمر التلمسان، دار التوزيع والنشر، القاهرة، ص ٥١، ومقالات في مجلة الدعوة العدد (٤٨) مايو ١٩٨٠م، ص (٤:٦)، والعدد ٢٩ أكتوبر ١٩٧٨م، ص ٢.

(٣) ينظر: تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، محمد العويس، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص ٢٩ وما بعدها، والصلح مع إسرائيل، حلمي محمد قاعود، القاهرة، دار الاعتصام، ص (١٤٤:١٦٥)، والبناء الفكري للإخوان المسلمين، ص ٣٥٠.

وقد أكدت مؤسسة (كارينجي الأمريكية للسلام الدولي) أن جماعة الإخوان المسلمين بمصر هي العدو المشترك لكل من أمريكا وإسرائيل والنظام المصري الحاكم وقالت في تقريرها الذي نشرته في ٢٠٠٦/١١/١٥ م حول الحركات الإسلامية في العالم العربي إن الإخوان المسلمين تبث خطابا داعيا لعزلة إسرائيل تشوبه الآراء المعادية للسامية إلى جانب إنتقاداتها اللاذعة للحكومة المصرية .

وقد أشار التقرير بان الإخوان المسلمين تخلوا عن مصطلح (الكيان الصهيوني) عند الإشارة إلى الدولة الإسرائيلية واستبدلوه بلفظ (العصابات الصهيونية) وذلك بهدف إزالة الشرعية الأخلاقية لوجود إسرائيل جملة وتفصيلاً.

وقال التقرير إن جماعة الإخوان اعتبرت إسرائيل لا شيء أكثر من كونها أداة عسكرية وحشية مؤكداً أنها أكملت تصعيدها الخطابي من خلال التأكيد على البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي إلى أقصى مدى (١) .

مهما يكن من أمر فإن موقف الإخوان المسلمين هو رفض جميع استفزازاته وتهديداته للشعب الفلسطيني الأعزل وما تفعله العصابات اليهودية من إرهاب للأبرياء الفلسطينيين واحتلالها أرض فلسطين الغالية.

#### المبحث الثامن عشر: موقف الإخوان المسلمين من القضية الفلسطينية:-

تقدم الإخوان المسلمون إلى مناصرة فلسطين الثائرة المجاهدة بكل ما فيهم من قوة ووقفوا على ذلك جهودهم ماديا وأديبا من حيث الدعاية والخطابة والنشر وجمع المال، وتألفت لذلك لجان وبعثات عملت ما في وسعها من العمل وسجلت ذلك كله بمجلة الإخوان المسلمين في حينه في سنتها الرابعة، ومن هذه العهود للتسجيل والتاريخ إنشاء اللجنة المركزية العامة لمساعدة فلسطين وتحت رعاية هذه اللجنة وجه الأستاذ المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين الدعوة إلى أعضاء الجمعية بالقاهرة للاجتماع في منتصف الساعة التاسعة مساء السبت الموافق ٢٥ صفر ١٣٥٥هـ، وفي الموعد المحدد لبى الدعوة لفييف كبير من الإخوان واجتمعوا في أحد أبناء الجماعة برئاسة فضيلة الأستاذ المرشد العام الذي رقى المنبر واخذ يشرح للإخوان ما حل بالعرب البواسل من أهل فلسطين الذين تربطنا بهم عدة روابط من الدين واللغة والعروبة ثم ناشدهم باسم الواجب الإنساني والنجدة الإسلامية أن يمدوا يد المساعدة إلى إخوانهم الفلسطينيين وأن يعملوا على تكوين لجنة من بينهم لتنظيم هذه المساعدة وبث الدعاية واستنداء الأكف للوجود

(١) ينظر : جريدة المصري اليوم العدد (٨٨٦)، بتاريخ الخميس ٢٠٠٦/١١/١٦ م .

بالمال لهذا الغرض الجليل ثم تبادل الإخوان الرأي وتناقشوا الأفكار وانتهى الأمر بتكوين لجنة من بينهم وافقت على تنفيذ المقترحات الآتية :-

- ١ - نشر مشروع هذه اللجنة في الصحف .
- ٢ - نشر نداء من اللجنة إلى الأمة المصرية والمسلمين عامة .
- ٣ - إرسال برقيات الاحتجاج إلى المندوبين الساميين في مصر وفلسطين ونشر صور منها في الصحف وإرسال برقية أخرى لفضيلة المفتي بصفته رئيسا للجنة العربية العليا .
- ٤ - دعوة اللجنة إلى عموم الإخوان والشعب<sup>(١)</sup> .

## المبحث التاسع عشر : موقف الإخوان من الديمقراطية :-

### المطلب الأول : تعريف الديمقراطية :-

تقدم بيان تعريف الديمقراطية مفصلاً، وأنها ترجع أصل السيادة ومصدرها إلى الإرادة العامة للأمة والشعب، فالديمقراطية democracy مصطلح يوناني يتكون من مقطعين (demos) وتعني الشعب، و(kratia) بمعنى حكم، فهي تعني حرقاً (حكم الشعب) وتقرر أن السلطة لا تكون مشروعة إلا حينما تكون وليدة الإرادة العامة للأمة، فإن المذاهب الديمقراطية هي التي تقول بأن السيادة للأمة أو الشعب<sup>(٢)</sup>، وقد تجلت هذه النظريات في صورتين:

### \* الصورة الأولى: نظرية سيادة الأمة :-

بزوال مبدأ الارتباط بين السلطة والسياسة والفئة الحاكمة وظهور فكرة السلطة المجردة من شخصية الحكام، أصبحت الدولة هي صاحبة السلطة السياسية، أي هي أساسها وأصلها، وأصبح الحكام عبارة عن أشخاص يحق لهم ممارسة هذه السلطة فقط دون أدنى ارتباط بأصلها ومصدرها<sup>(٣)</sup>.

لكن إذا كانت الدولة هي صاحبة السلطة السياسية فإلى من ترجع صفة الأمر في الدولة؟ أي إلى من تعود السيادة فيها؟

هنا برزت نظرية سيادة الأمة التي تعتبر أساساً نظرية فرنسية، وهي تنسب إلى فكرة العقد الاجتماعي لجان جاك روسو، إذ كان له الفضل في إبراز هذه النظرية في كتابه العقد الاجتماعي ومضمون هذه النظرية: أن السيادة للأمة ذاتها باعتبارها وحدة مجردة مستقلة عن الأفراد المكونين لها، فلا سيادة لفرد ولا لجماعة من الأفراد، بل إن السيادة لجموعة الأفراد على اعتبار أن هذا

(١) ينظر : مذكرات الدعوة والداعية للإمام حسن البنا ص، (٢٤٠:٢٣٩).

(٢) ينظر: القانون الدستوري، عبد الحميد متولي، ص (٤١)، الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم، ص (١١٩).

(٣) ينظر: النظم السياسية: محسن خليل، ص (٤٣).

الشخص الجماعي لا يمثل كل فرد من الأفراد المكونين له بل يمثل وحدة واحدة لا تتجزأ مستقلة عن الأفراد، ألا وهي الأمة.

النتائج المترتبة على مبدأ سيادة الأمة:-

١ - سيادة الأمة كل لا يتجزأ؛ إذ يستحيل تجزئة السيادة وتقسيمها على الأفراد بحيث يختص كل فرد بجزء منها، وعلى ذلك يتحتم أن يختار من يمارس هذه السلطة الآمرة العليا، ولا يجوز أن يختص كل فرد من الأفراد بممارستها؛ ولذلك فإن مبدأ سيادة الأمة لا يتناسب مع نظام الديمقراطية المباشرة التي يقوم كل فرد فيها بممارسة شئون السلطة السياسية بنفسه، ولكن يتناسب هذا المبدأ مع النظام الديمقراطي النيابي.

٢ - إذا كان أفراد الشعب لهم الحق في اختيار من يقوم بممارسة السلطة الآمرة العليا، فإن هذا الاختيار تبعاً لمبدأ سيادة الأمة لا يعد حقاً للأفراد بل مجرد وظيفة، وعليه فليس من حق الفرد أن يدعي أن له حقاً في اختيار من يمثله نيابياً، إذ إن هذا ليس حقاً له بل مجرد وظيفة، ومن ثم فلائمة أن تحدد الشروط اللازمة توافرها في هيئة الناخبين كي تضمن حسن الاختيار وتوافر الكفاءات فيمن سيمارس شؤون السلطة.

٣ - إذا كان مبدأ سيادة الأمة يتناسب مع النظام النيابي، فإن من مقتضى ذلك تحرير إرادة النواب الذين يقع عليهم وحدهم ممارسة السلطة عن إرادة ناخبهم، بحيث لا يمكن للناخبين حق إملاء إرادتهم على النواب، إذ يقوم النواب هنا بالتعبير عن إرادة الأمة وحدها لا بالتعبير عن إرادة ناخبهم.

٤ - ينظر مبدأ سيادة الأمة على القانون على أنه تعبير عن الإرادة العامة أي تعبير عن إرادة الأمة وحدها، وليس مجرد تعبير عن إرادة النواب أو إرادة ناخبهم.

نقد مبدأ سيادة الأمة:-

١ - إذا كان مبدأ سيادة الأمة قد أفاد فرنسا في أوقات السلطات المطلقة على اعتبار أنه سلاح من أسلحة الكفاح ضد الفئة الحاكمة، حتى أنه اعتبر (أحد معاول الهدم للملكية المطلقة) فإن الهيئات الحاكمة في الوقت الحاضر قد أقلعت عن مزاوله السلطان المطلق وأصبحت هذه الهيئات تمارس السلطة الآن لا بناء على حق شخصي، ولكن بناء على صفتهم كممثلين عن الأمة، ومن ثم فإن مبدأ سيادة الأمة قد استنفذ أغراضه حتى أنه أصبح غير ذي موضوع في الوقت الحاضر، فلنسنا بحاجة إليه.

٢ - يؤدي مبدأ سيادة الأمة باعتبار الأمة وحدة كلية مستقلة عن مجموع الأفراد إلى الاعتراف بالشخصية المعنوية للأمة. وينتج عن ذلك وجود شخصين معنويين يتنازعان السيادة، الأول (الدولة)، والثاني (الأمة)، فكيف يستقيم هذا الأمر؟.

٣ - يشكل سيادة الأمة خطراً كبيراً على حقوق الأفراد وحرياتهم، ويؤدي كذلك إلى الاستبداد ثم إن اعتبار أن الهيئات الحاكمة معبرة عن إرادة الأمة يؤدي إلى أن يصدر عنها أعمال كثيرة تنال من حقوقها الأفراد مما يشكل خطراً على حقوق الأفراد وحرياتهم، إن مبدأ سيادة الأمة ينقل السلطات المطلقة من الحاكم أو الملك إلى الهيئات المطلقة التي قد تمارس صورا من صور الاستبداد.

٤ - مبدأ سيادة الأمة لا يمثل نظاماً معيناً إذ يتلاءم مع أنظمة متعددة، فهو وإن تلاءم مع النظام الديمقراطي النيابي، فإنه قد يتلاءم مع الأنظمة الدكتاتورية، كما أنه قد انسجم مع النظام الملكي، والنظام الجمهوري على حد سواء، الأمر الذي لا يجعله أساساً لنظام سياسي معين محدد<sup>(١)</sup>.

#### \* الصورة الثانية: نظرية سيادة الشعب:-

اختلفت نظرية سيادة الشعب عن نظرية سيادة الأمة، إذ اعتبرت نظرية سيادة الشعب أن مبدأ سيادة الشعب يعني النظر إلى الأفراد ذاتهم ويقرر لهم السيادة، ولا ينظر إليهم نظرة مبدأ سيادة الأمة باعتبارهم وحدة واحدة مجردة لا تقبل التجزئة ومستقلة عن الأفراد ذاتهم، ولما أثبتت هذه النظرية السيادة للأفراد أو ذاتهم، فإنها قسمتها بينهم بحيث يكون لكل فرد جزء من السيادة، وعلى ذلك تصبح السيادة مجزأة مقسمة بين الأفراد بحسب عدد أفراد الجماعة.

#### النتائج المترتبة على مبدأ سيادة الشعب:-

١ - إذا كان مبدأ سيادة الشعب يقرر لكل فرد من أفراد الشعب السياسي جزءاً من السيادة، فإن من مقتضى ذلك أن يكون للأفراد حق ممارسة السلطة، إذن لم تعد ممارسة السلطة وظيفة لأفراد الأمة، بل هي حق لهم يطالبون به؛ وعلى ذلك فإن النظام الديمقراطي المباشر وغير المباشر أصبح يتعايش مع مبدأ سيادة الشعب، كما أن مبدأ الشعب لم يعد يصلح للنظام الملكي بل لا يتحقق إلا مع النظام الجمهوري فقط.

٢ - أصبح للأفراد الناجحين حق يطالبون به النائب الذي تم اختياره بإرادتهم، الأمر الذي يؤدي إلى إملاء الناخب على النائب العمل وفق آرائه وتعليماته.

#### الانتقادات التي واجهت سيادة الشعب:-

(١) ينظر: النظم السياسية: محسن خليل، ص (٤٣، ٤٥).

١ - من مقتضى مبدأ سيادة الشعب تبعية النواب لجمهور ناخبيهم، وخضوعهم لآراء ومعتقدات هؤلاء الآخرين بغض النظر عن خطأها أو صوابها.

٢ - سترتب على مبدأ سيادة الشعب ظهور الشعب كشخصية معنوية تنازع شخصية الدولة المعنوية السيادية، مما يؤدي إلى عدم استقرار بل واضطراب الأوضاع في الدولة<sup>(١)</sup>. ومن المقرر في عالم السياسة أن ما تعانيه البشرية اليوم من النظام الديكتاتوري هو نتيجة لأزمة النظام الديمقراطي.

قال مارليو: (والواقع أن جميع الدكتاتوريات كانت في بدايتها مؤيدة من الشعب، وإن كانت بعد حين من الزمن يصبح ذلك التأييد ظاهرياً فحسب)<sup>(٢)</sup>. وليس للعالم من مهجع يستريح إليه ويتفياً ظلاله ويطمئن إليه، بل إنه يعيش بين شقي الرحا يستغيث منه:

والمستجير بعمره عند محنته كالمستجير من الرمضاء بالنار

لم ياله الشيطان خيلاً فهو بما هداه إليه تفكيره صائر إلى حتفه على كلا النظامين لا محالة، إلى النظام الديمقراطي أو النظام الديكتاتوري.

ويقف النظام الإسلامي الذي وضع أسسه الذكر الحكيم وشيدته السنة المطهرة على يد سيد الأولين والآخرين محمد ٣ يقف وحيداً فريداً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وخالف غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية، فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات في النفوس، ولا آراء في الكتب ولا كلمات على الأفواه والشفاه، ولكنه وضع لتركيزها وتثبيتها والانتفاع بآثارها ونتائجها مظاهر عملية وألزم الأمة التي تؤمن به وتدين له بالحرص على هذه الأعمال وجعلها فرائض عليها لا تقبل في تضييعها هوادة، بل يثيب العاملين ويعاقب المقصرين عقوبة قد تخرج بالواحد منهم من حدود هذا المجتمع الإسلامي وتطوح به إلى مكان سحيق.

#### المطلب الثاني: نشأة الديمقراطية وصورها: -

إن الديمقراطية مصطلح نشأ لأول مرة في التاريخ في كتاب (حرب البيلوبونين) من تأليف المؤرخ اليوناني الشهير (توسيديس) (٤٦٠ - ٤٠٠ ق. م) الذي نقله عن (بيركلبس) الذي كان يتصور الديمقراطية نظاماً يتمتع الناس في ظلّه بالمساواة أمام القانون. ويستند إلى المبدأ القائل: (إن الأغلبية أكثر حكمة من الأقلية)<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: النظم السياسية: محسن خليل، ص (٥٤، ٥٨).

(٢) الدكتاتورية والحرية، ص (٦٠).

(٣) ينظر: الشورى في الإسلام، من تأليف د. زكريا الخطيب، ص (٢٤٤).

وكان للمفكر الإنجليزي (جون لوك) دور كبير في الدعوة إلى مبادئ الديمقراطية في القرن السابع عشر ضد السلطان المطلق للملوك، وقد كان له تأثيره الكبير في المفكرين عامة، خلال القرن الثامن عشر وخاصة المفكرين الفرنسيين أمثال (فولتير)، و(منتسكير)، و(روسو)، ثم أدى ظهور هؤلاء المفكرين إلى قيام الثورة الأمريكية، وإعلان الاستقلال عام ١٧٧٦م، وتقرير مبدأ الحقوق والحريات للأفراد.

وقامت قبل ذلك الثورة الإنجليزية عام ١٦٤٩م وعام ١٦٨٨م، وأعلنت وثيقة الحقوق سنة ١٦٨٩م التي أرست النظام البرلماني.

وكان دعاة الديمقراطية خاصة (روسو) ينادون بشعار الحرية، والإخاء، والمساواة؛ ثم بلورت الثورات الإنجليزية والأمريكية والفرنسية ذلك في إطار قانوني ملزم، وكان ذلك في إعلان الحقوق الفرنسي الصادر عام (١٧٨٩م)، حيث جاء في المادة الثالثة:

(الأمة مصدر السيادة ومستودعها وكل شخص يتولى الحكم إنما يستمد سلطته منها).  
ثم بثت هذه التعاليم في الدستور الفرنسي الصادر عام (١٧٩١م)، فنص على (أن السيادة ملك للأمة، ولا تقبل التجزئة ولا التنازل عنها ولا التملك بالتقادم).

فتلخص من هذا أن الثورة الفرنسية ومن قبلها الأمريكية والإنجليزية نقلت المبدأ الديمقراطي الذي نادى به المفكرون إلى مبدأ وضعي مطبق بالفعل ومنصوص عليه في دساتير الحكم المختلفة.

ثم انتشرت فكرة الديمقراطية بين الدول العالمية، وجميعهم استقوها من فرنسا، بل قد انخرط في هذه الاستجابة كثير من الدول الإسلامية مثل جمهورية مصر العربية، التي نص دستورها عام (١٩٢٣م) على أن جميع السلطات مصدرها الأمة.

وفي دستور (١٩٥٦م)، المادة الثانية: السيادة للأمة.

وفي الدستور المؤقت لعام (١٩٦٤م) المادة الثانية: أن السيادة للشعب.

وفي دستور (١٩٧١م) المادة الثالثة: السيادة للشعب وحده، وهو مصدر السلطات، ويمارس الشعب هذه السيادة ويحميها ويصون الوحدة الوطنية على الوجه المبين في الدستور، ونصت المادة (٨٦) على أن يتولى مجلس الشعب سلطة التشريع والرقابة على أعمال السلطة التنفيذية<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر: الإسلاميون وسراب الديمقراطية للدلال والشورى، وأثرها في الديمقراطية لعبد الحميد الأنصاري، ص (٣٣٠)، والإخوان المسلمون والديمقراطية، عبد الحميد بن يحيى الحجوري، ص (٦٨ - ٧٠).



وفي كل لحظات تطورات الديمقراطية نجدها تقوم على أساس حكم الشعب ذاته<sup>(١)</sup>.  
صور الديمقراطية:-

تتخذ الديمقراطية صورتين من أقبح الصور التي عرفتھا الأنظمة السياسية:  
الصورة الأولى: الديمقراطية الاشتراكية، وهي ما تسمى بالديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية.

الصورة الثانية: الديمقراطية التقليدية، وهي ما تسمى بالديمقراطية السياسية، أو الديمقراطية الغربية.

أما الديمقراطية الاشتراكية، فهي توجد في الشرق (كالصين وروسيا وبعض الدول الآسيوية).

وهي: حركة إصلاحية ترمي إلى تحقيق أكبر قسط من المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين الأفراد الذين يتألف منهم المجتمع.

وقاعدتها التي تتركز عليها، تتمثل في النقاط التالية:

١ - تحقيق مبدأ المساواة الفعلية بين أفراد المجتمع.

٢ - إلغاء الملكية الفردية (الخاصة) كلياً أو جزئياً.

٣ - الفرص الخاصة والإرث هي من الأسباب الغير مشروعة للتملك.

وتتعارض الديمقراطية مع الإسلام من خلال:

١ - أنها تعتقد بأن المادة هي أصل الأشياء ولا شيء غير المادة، وهذا يعني إنكار الله وإنكار كل دين سماوي، وتعتبر أن الإيمان بذلك (أفيونا) يخدر الشعوب، فهي مذهب إلحادي<sup>(٢)</sup>.

٢ - أنها مناقضة للفطرة البشرية بحب التملك، ولغريزة التدين التي هي مع كل إنسان<sup>(٣)</sup>.

وأما كانت الديمقراطية التقليدية فهي تقوم على أساس سيادة الشعب، وأنه هو صاحب السلطة، فإن مباشرة الشعب لهذه السلطة تنوعت إلى صور تطبق حسب كل عصر وظروفه، فالديمقراطية المباشرة وهي التي يباشر فيها الشعب الحكم بنفسه، وتظهر فيها الطبقة الحاكمة بمظهر الحاكم دون واسطة أو إنابة، ولا ينظر فيها إلى علو شخص عن شخص آخر رتبة أو غنى أو فقراً.

وهي بهذا المنطق تكون المثل الأعلى للمبدأ الديمقراطي فالشعب بنفسه يباشر شئون السلطة دون أن يوكل غيره.

لكن في الحقيقة العيب الكبير الذي يجعل هذه الصورة بعيدة عن الواقع هو استحالة تطبيقها

---

(١) ينظر: النظم السياسية والقانونية، من تأليف د. سليمان الطماوي، والنظم السياسية، من تأليف: د. محمد كامل ليلة، ص (٤٦٧).

(٢) ينظر: حكم الإسلام في الاشتراكية، من تأليف/عبد العزيز البدري، ص (٢٩).

(٣) ينظر: الشورى في الإسلام، من تأليف د. زكريا الخطيب، ص (٣٠٩).

خاصة في الدول الكبيرة حيث لا يمكن جمع الشعب كله في صعيد واحد<sup>(١)</sup>.  
والمخرج من ذلك يتمثل في الديمقراطية النيابية: وهي التي لا يحكم الشعب فيها نفسه بنفسه مباشرة، بل بواسطة نوابه الذين يختارهم ليمارسوا الحكم والسلطة نيابة عنه.  
وتمثل هذه الصورة بديلا للصورة السابقة التي يستحيل تطبيقها، فهي أفضل ما يمكن به تحقيق معنى الديمقراطية التي تعني حكم الشعب، لكن بواسطة نوابه<sup>(٢)</sup>.  
وهناك الديمقراطية شبه المباشرة: وهذه الصورة عبارة عن إيجاد نوع موائم بين النوعين الماضيين، وإضفاء صبغة تجمع بين تلك الصورتين.

فهي تقوم على أساس وجود برلمان منتخب ينوب عن الشعب ويعمل باسمه ولحسابه وهذا هو مظهر الديمقراطية النيابية ولكن مع وجوب الرجوع إلى الشعب نفسه باعتباره صاحب السيادة ومصدر السلطات في الكثير من الأمور المهمة، وهذا هو مظهر الديمقراطية المباشرة<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثالث: مبادئ الديمقراطية وخصائصها:-

لكل نظام مبادئه التي يتميز بها ويسير على دربها ولعل من أهم مبادئ الديمقراطية ما يعرف عندهم بنظرية سيادة الأمة.

وتعريف السيادة عند أصحاب الديمقراطية: هي تلك السلطة العليا التي تملك حق التشريع التي لا تعرف بجانبها أو فوقها فيما تنظم من علاقات سلطة عليا أخرى، فهي سلطة تسمو فوق الجميع، وتفرض نفسها على الجميع بما تملك من سلطة الأمر والنهي العليا!!<sup>(٤)</sup>.

وتقوم الديمقراطية على ركيزتين:

الأولى:- سيادة الشعب أو الأمة.

والثانية:- الإقرار بحرية الأفراد وضمائهم.

ويمكن القول إن من أهم مبادئ الديمقراطية مبدأ (سيادة الأمة) وهو الأساس القانوني والفكري للديمقراطية، وأن هذه السيادة سلطة لا نظير عليها ولا رقيب سوى الشعب فقط، وهي تقرر إصدار الأوامر الملزمة، وأنها لا تستمد وجودها من هيئة أخرى.

وبهذا المعنى يقف الفكر الإسلام تجاه الديمقراطية وفكرها، موقفا يحكم عليها بالبطلان، وأن ما تقرره لا يجوز اعتقاده، ولا التسامح فيه، وجه ذلك: أن مبدأ (سيادة الأمة) كفر صريح

---

(١) ينظر: النظم السياسية والقانونية، د. الطماوي، ص (١٥٤، ١٥٥)، ومبادئ الأنظمة السياسية، من تأليف: د. إبراهيم شيحا، ص

(١٥٥، ١٩٩)، وبحوث فقهية معاصرة، من تأليف د. عبد الكريم زيدان، ص (٧١).

(٢) ينظر: النظم السياسية والقانونية، د. الطماوي، ص (١٥٦)، والقانون الدستوري، د. عبد الحميد متولي، ص (١٥٥).

(٣) ينظر: النظم السياسية والقانونية، د. الطماوي، ص (١٦٧)، ومبادئ الأنظمة السياسية، د. إبراهيم شيحا، ص (١٦٧).

(٤) الإخوان المسلمون والديمقراطية، ص (٧٤).

ومضادة للشريعة الإسلامية والعبودية لله؛ لأنها تجعل الأمة هي صاحبة الأمر والنهي، والله وحده هو صاحب الأمر والنهي، وتجعل للأمة السلطة العليا التي لا معقب لها ولا عليها، وأن هذه السيادة غير قابلة للتصرف فيها فلا يمكن للأمة أن تتنازل عنها، أو عن جزء منها<sup>(١)</sup>

والأدلة من الشرع على إبطال (مبدأ سيادة الأمة) ما يلي:-

أولاً:- أن الحاكمية وأحقية إصدار الأحكام والأوامر والنواهي حق محض لله وحده، لا يحق لأحد أن يشاركه فيها؛ قال الله U ( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١))<sup>(٢)</sup>.

قال ابن قتيبة: (لا يتعقبه أحد بتغيير ولا نقص)<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: (مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)<sup>(٤)</sup>.

جاء في زاد المسير:- (ما القضاء والأمر والنهي إلا له)<sup>(٥)</sup>.

فالله U يقرر في هذه الآية أن الحكم لا يكون إلا له مقصور عليه وما على البشر من حكام ومحكومين إلا الخضوع والانصياع لضوابط التشريع الإسلامي والالتزام بها، سواء تعلقت بشريعة أم بتوجيه أخلاقي، ومن ثم لا يجوز لأية سلطة حاكمة تؤمن بالله U أن تشرع تشريعا مخالفا لأمر الله U، وإلا كانت مستحيلة للمعصية، وبهذا تفقد مشروعيتها.

وقوله U (أَتُمِّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١))<sup>(٦)</sup>.

هذه الآية نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة قالوا: يا محمد اتتنا بقرآن غير هذا القرآن فيه ما نسألك ونقترحه عليك، فجاء الجواب الشافي من الله U: قل يا محمد: لا ينبغي ولا يصلح لي شرعا أو عقلا أن أتلاعب في كتاب الله فأغير فيه أو أبدله من تلقاء نفسي، فأنا عبد مأمور أبلغكم وحي الله ودينه<sup>(٧)</sup>

قول الله U (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ

(١) ينظر: بحوث فقهية معاصرة، د. زيدان، ص (٨٥، ٨٦)، وبحوث فقهية معاصرة، محمد عبد الغفار الشريف، ص (١٧، ١٨).

(٢) سورة الرعد الآية ٤١.

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي، ص (٦٩٦).

(٤) سورة يوسف الآية ٤٠.

(٥) زاد المسير، لابن الجوزي، ص (٦٩٦).

(٦) سورة يونس الآية ١٥.

(٧) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١٣١/٥).

يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)) (١).

فالله U يؤكد في هذه الآية أن غاية وهدف التشريع الإسلامي هي الاستقامة على أمره U والخضوع المطلق لشريعته التي أوحى بها إلى الأنبياء والرسل من لدن نوح U إلى بعثة محمد ﷺ والالتزام بما جاءوا به من تشريع دون خروج عليه أو انحراف عنه يقول الجصاص: إن الفقهاء يستدلون بهذه الآية على أن من رد شيئا من أوامر الله أو أوامر رسوله فهو خارج عن الإسلام سواء كان رده من جهة الشك فيه، أو من ترك القبول به، أو امتناع عن التسليم له، ولقد حكم الصحابة y بارتداد مانعي الزكاة، لأن الله U حكم بأن من يسلم بما جاء به الرسول ﷺ ولم يسلم بقضائه وحكمه فليس من أهل الإيمان<sup>(٢)</sup>، قوله U (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)) (٣).

وجه الدلالة: أن الله U يقسم بذاته العلية أنه لا يؤمن مؤمن حتى يخضع ويستسلم لشرع الله راضيا بحكمه، مسلما بقضائه ليس في صدره حرج، وبعد هذا القسم لا يبقى قول لقائل في أنه يجوز للمسلم أن يخضع لشرع غير شرع الله U، ولقانون غير قانون السماء، ثم يدعي أنه مؤمن وأنه في زمرة الجماعة المسلمة<sup>(٤)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: عن الخضوع للتشريع الإسلامي: (إذا عرف هذا فالرضا بالقضاء الديني واجب وهو أساس الإسلام وقاعدته، فيجب على العبد أن يكون راضيا بلا حرج ولا منازعة ولا اعتراض، فأقسم أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ﷺ وحتى يرتفع الحرج عن نفوسهم من حكمه، وحتى يسلموا لحكمه تسليما كاملا، وهذه حقيقة الرضا بحكمه، فالتحكيم في مقام الإسلام وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان)<sup>(٥)</sup>.

قال الله U (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ) (٦).

قال الله U ( وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ

(١) سورة الشورى الآية ١٣.

(٢) أحكام القرآن، للجصاص (٢/٢١٤).

(٣) سورة النساء الآية ٦٥.

(٤) إعلام الموقعين (١/٥٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٢/١٩٢).

(٦) سورة المائدة الآية ٤٤.

اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) (١)

وقال الله U ( وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) ) (٢).

وهذه الآيات تدل صراحة على وجوب التزام الأمة في ممارسة أعمالها واختصاصاتها بالتشريع الإسلامي، حيث جعلت من يترك حكم الله كافرين، وظالما، وفاسقا، وهذا أعظم بيان في أن السلطة الحاكمة في النظام الإسلامي يجب أن تكون خاضعة لشرع الله وملتزمة بضوابطه، ويتحتم عليها أن تحكم بما أنزل الله وتلتزم في ممارسة سلطاتها بتشريع، وإن اخترعت حكما يخالف حكم الله، أو شرعا يعارض شرع الله، وجعلته تشريعا تحكم به وتمارس سلطاتها على أساسه فقد لزمها الوعيد المذكور.

وهذه الأدلة وغيرها تدل على أن الحاكمية لله وحده لا يجوز لأحد أن يشاركه فيها فضلا عن أن يستقل بها كما هو واقع في كثير من البلاد.

ثانيا: - أن الرسل وهم أنبياء الله يجب عليهم تنفيذ أوامر الله تعالى فكيف بمن هو دونهم، قال U عن عيسى ( مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) ) (٣).

ثالثا: - أنه لا خيرة على حكم الله ورسوله إذا صدر منهم الأمر، قال الله U (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) ) (٤).

ومعنى هذه الآية أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع أمر الله وأمر رسوله بل الواجب عليهم الانقياد والامتثال (٥)، وهذا عام لجميع المؤمنين؛ لأنه تعبير نكرة في سياق النفي فيفيد العموم. والله U قد نفى اختيار المؤمنين والمؤمنات عند سماعهم أمر الله وأمر رسوله ﷺ، وانتفاء الاختيار يعني التسليم على سبيل الإلزام والحتم (٦).

رابعا: - أن المطلوب من الرسل والناس عموما و(الأمة) إتباع شرع الله المنزل لا شرع

(١) سورة المائدة الآية ٤٥.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٧.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٧.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

(٥) ينظر: كشف الأسرار، للنسفي (٥٤/١)، شرح نور الأنوار على المنار (٥٠/١)، التلويح على التوضيح (١٥٣/١).

(٦) ينظر: أصول السرخسي (١٨/١)، التلويح على التوضيح (١٥٣/١).

العباد الموضوع، قال الله U (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)) (١).

والمراد من لفظ الشريعة في هذه الآية هو الأحكام الاعتقادية، والدليل على ذلك أن كلمة الشريعة لم ترد في القرآن إلا في هذا الموضع، من سورة الجاثية وهي مكية، أي قبل نزول آيات الأحكام والتشريعات وما يتعلق بها، فهذه إنما نزلت في المدينة.

والشريعة والشرعة بمعنى واحد وهي ما سن الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر (٢)، ومنه قول الله U (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)) (٣).

وقول الله U (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)) (٤) أو هي: الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة (٥).

خامسا:- أن شرع الله هو المرجع عند النزاع: فهو الذي يحل، وهو الذي يحرم، والأمة كلها خاضعة له؛ لأنه هو خالقهم وربهم والمتصرف فيهم، قال الله U (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (٦). ومن تصور معنى الديمقراطية ثم عرف أنواع السلطات الثلاث: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، لا يشك بأن النظام الديمقراطي نظام إلهي جاهلي، لا يصلح للبلدان الإسلامية، التي تؤمن بالنظام الإسلامي المنزل من الله U، قال الله U (أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٧)، ونظرية السيادة هذه منبعها من عند أعداء الله الكفار في أوروبا عندما أرهقهم حكامهم الذين يحكمون بدينهم المخرف المبدل، فجعل الملوك السيادة العليا لهم، وجعل الناقمون عليهم السيادة

(١) سورة الجاثية الآية ١٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠٢/٦).

(٣) سورة الجاثية الآية ١٨.

(٤) سورة المائدة الآية ٤٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠٢/٦).

(٦) سورة النساء الآية ٦٥.

(٧) سورة النمل الآية ٦٣.

للشعب<sup>(١)</sup>.

وتقوم الديمقراطية على ثلاث سلطات:-

سلطة تشريعية:- ومهمتها تشريع الأحكام والقوانين، وتعديلها وإلغاؤها ومراقبة تنفيذها، وهذا يتعارض مع قول الله ﷻ (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩))<sup>(٢)</sup>.

سلطة تنفيذية:- ومهمتها القيام بتنفيذ القانون العام أو الإرادة الشعبية.

سلطة قضائية:- ومهمتها القضاء في كل ما يعرض عليها وفق الأحكام والقوانين التي تصدرها السلطة التشريعية، فالشعب أو الأمة هو مصدر جميع هذه السلطات<sup>(٣)</sup>.

فإذا كان الشعب هو الذي يشرع قانونه، وهو الذي يتولى تنفيذ قوانينه، ويتقاضى ويتحاكم إلى هذه القوانين، فهل بقي شيء لرب العالمين، الذي نحن عبيده؛ ولا يجوز لنا مخالفة أمره ونهيهِ؟!<sup>(٤)</sup>.

المطلب الرابع: موقف الإخوان المسلمين من الديمقراطية :-

يرى الإخوان أن الوصول للحكم الإسلامي يأتي عن طريق الديمقراطية والتعددية السياسية، وإليك جملة من ترهاقهم: قال حسن البنا: (إن الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستوري التي تتلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها، وعلى الشورى، واستمداد السلطة من الأمة، وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب، ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال، وبيان حدود كل سلطة من السلطات؛ هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم؛ ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظاما آخر)<sup>(٥)</sup>، وقال فريد عبد الخالق أحد قادتهم: (إننا نريد تحقيق الديمقراطية، وعودة الحياة النيابية) سو(الديمقراطية لا بديل لها)<sup>(٦)</sup>، وقال أيضا: (إن تغيير مسار المجتمعات لا يمكن أن يتم إلا في جو

(١) ينظر: الإخوان المسلمون والديمقراطية، ص (٧٥).

(٢) سورة المائدة الآية ٤٩.

(٣) حقيقة الديمقراطية، ص (١٥).

(٤) ينظر: الإخوان المسلمون والديمقراطية، ص (٧٥، ٧٦).

(٥) مبادئ وأصول في مؤتمرات خاصة، حسن البنا، ص (٦٠).

(٦) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (٢٧/٣).

من الحرية والديمقراطية يسمحان بازدهار المفاهيم الصحيحة<sup>(١)</sup>.

وقال القرضاوي: (والواجب على الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة أن تقف أبداً في وجه الحكم الفردي الديكتاتوري، والاستبداد السياسي، والطغيان على حقوق الشعوب، وأن تكون دائماً في صف الحرية السياسية المتمثلة في الديمقراطية الصحيحة غير الزائفة)<sup>(٢)</sup>.

وعند المهضيبي: (أن الشيوعية لا تقاوم بالقوة، ولا بالقوانين، ولا مانع لديه من أن يكون لهم حزب ظاهر، وأن الإسلام كفيل بضمان سلامة الطريق التي تسلكها البلاد)<sup>(٣)</sup>.

وقال القرضاوي: (أنا من المطالبين بالديمقراطية بوصفها الوسيلة الميسورة والمنضبطة لتحقيق هدفنا في الحياة الكريمة)<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: (إن جوهر الديمقراطية أن يختار الناس من يحكمهم ويسوس أمرهم، وأن لا يفرض عليهم رأي يكرهونه).

ثم يضيف قائلاً: (الواقع أن الذي يتأمل جوهر الديمقراطية يجد أنه من صميم الإسلام)<sup>(٥)</sup>.

وقد طبق البنّا عملياً تلك الرؤية؛، حيث رشح نفسه للبرلمان مرتين<sup>(٦)</sup>، وهذا التوجه السياسي الخاطئ جعلهم يعقدون أحلافاً مع أحزاب علمانية؛ ففي مصر تحالفوا مع الوفد وغيره، وكذلك صنعوا في اليمن والأردن<sup>(٧)</sup>.

قال الشيخ محمد أمان الجامي (رحمه الله): وهو يتكلم على النظام الديمقراطي: (فإن كان الشعب هو الذي يشرع قانونه وهو الذي يتولى سلطة القضاء وهو الذي ينفذ ما قضى به القاضي الديمقراطي فما الذي يبقى لرب العالمين الذي خلق العباد)<sup>(٨)</sup>.

وقد تقدم الكلام على مساوئ الديمقراطية وأنها مضادة لحكم الله U.

فالسطة الحاكمة في النظام الإسلامي تؤمن إيماناً كاملاً بما أنزل الله ومن ثم تترسم أوامره ونواهيه ولا تحيد عنها لأن الناس (الحكام والمحكومين) يعلمون جميعاً أن في ذلك خيراً لهم وأن الفلاح والصلاح كله لمن آمن به واتبعه وهو ما يعني أن القانون الإلهي هو الشرع الحاكم الفارض ضوابطه وقواعده وأحكامه على الجميع بلا استثناء والمتسيد على أية شريعة أخرى بلا

(١) المرجع السابق (٢٨/٣).

(٢) أولويات الحركة الإسلامية، ص (١٥٦).

(٣) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (١١٠/٣).

(٤) فتاوى معاصرة (٦٥٠/٢).

(٥) فتاوى معاصرة (٦٣٧/٢).

(٦) حسن البنّا بأفلام تلامذته ومعاصريه، ص (٢٣، ٢٤).

(٧) الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، ص (٤٤٣ - ٤٤٤).

(٨) ينظر: للجزيرة العربية خصوصية، ص (١٣، ١٤)، والبيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص (٧٧، ٧٨).



منازع من مزاحمة أو مشاركة، ومؤدى ذلك أن ضوابط ممارسة السلطة الحاكمة في النظام الإسلامي ليست وليدة إرادة الأغلبية الشعبية كما هو الحال في دول الديمقراطيات الرأسمالية ولا هي وليدة انعكاس القاعدة الاقتصادية كما هو الحال في دول الديمقراطية الاشتراكية ولكنها وليدة المشيئة والإرادة الإلهية ومن صنع الله وتنزيله لقول الله U (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (١) فكان حتما في الشريعة الإسلامية التي هي نبت الإيمان العقائدي أن تمارس السلطة الحاكمة في النظام الإسلامي أعمالها واختصاصاتها وتؤدي مهامها وفق ضوابط محددة من قبل شرع الله فتظل أعمالها محكومة ومقيدة وخاضعة لها تدور ممارستها صحة وبطلانا وفق تطابقها أو عدم تطابقها لشرع الله الحاكم (٢).

وإذا كانت هذه هي أقوال مشايخ الإخوان عن الديمقراطية فإن هناك فوارق عدة بين السلطة الحاكمة في النظام الإسلامي والسلطة الحاكمة في النظم الديمقراطية:

الفرق الأول:- أن المراد بالأمة أو الشعب في النظم الديمقراطية جماعة من الناس مستقرة على بقعة معينة من الأرض تجمع بين أفرادها الرغبة المشتركة في العيش معا، كما تجمع أفرادها روابط من الدم والجنس واللغة والعادات المشتركة (٣) بل إن وحدة اللغة من أهم العوامل التي تساعد في تكوين الأمة (٤).

ولا كذلك النظام الإسلامي فالأمة عنده تربطها وحدة العقيدة الإسلامية فلا اعتبار للمكان ولا اللغة، ولا الجنس، بل كل من اعتنق الإسلام وآمن بمبادئه من أي جنس أو لون أو وطن فهو عضو في النظام الإسلامي فنظرة الإسلام إنسانية وفقهه عالمي (٥).

الفرق الثاني:- أن النظام الديمقراطي سواء منه ما كان في عهد الإغريق أو الذي يوجد الآن في هذا العصر لا يسعى إلا إلى تحقيق أهداف دنيوية أو مادية وليس من أهدافه تحقيق

(١) سورة الشورى الآية ١٩٢.

(٢) شرعية السلطة والنظام في حكم الإسلام د: صبحي سعيد عبده دراسة مقارنة دار النهضة العربية، ١٩٩٩م، القاهرة ص (١٤٥)، والحاكم أصول الحكم في النظام الإسلام د: صبحي سعيد عبده الفكر العربي القاهرة ١٩٨٥م، ص (٨).

(٣) النظم السياسية، د/ ثروت بدوى المطبعة العالمية، ١٩٦٠م (٣٣/١).

(٤) مبادئ نظام الحكم في الإسلام د/عبد الحميد متولي، مطبعة الشاعر ص (٤٨٩)، والنظم السياسية والقانون الدستوري د/عبد الغني بسيوني عبد الله، الدار الجامعية، ١٩٩٢م، ص (٢٤، ٢٥).

(٥) ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين، للشيخ أبي الحسن الندوي، مكتبة الإيمان ص (٩٨)، إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨هـ (١٧٢/٣)، رسالة التوحيد الشيخ محمد عبد، الطبعة السابعة عشر، مكتبة القاهرة ١٣٨٩هـ، ص (٣٠)، السياسة الشرعية، الشيخ عبد الوهاب خلاف، دار الوفاء القاهرة ١٣٧٩هـ، ص (٦٣).

أغراض روحية ولكن أهداف السلطة الحاكمة في النظام الإسلامي تجمع إلى ذلك أغراضا روحية وهي أسمى الغاية أي إنها بقدر ما تولي الناحية الدنيوية والمادية اهتماما فإنها تهتم بالناحية الدينية والروحية، بل الأهداف الدينية والروحية هي الأصل فيها، وهي التي يطلب تحقيقها أولا<sup>(١)</sup>، ويجيء تبعاً لها مصالح الناس الدنيوية والمادية.

الفرق الثالث:- أن السلطة الحاكمة في النظام الديمقراطي مطلقة وهي صاحبة السيادة تضع القانون وتلغيه، وتشرع كما تشاء وتفتي بما تشاء وتحل ما تشاء وتحرم ما تشاء ولكن السلطة الحاكمة في النظام الإسلامي مقيدة بالشرعية الإسلامية التي لا تتغير ولا تبدل لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان، وتعتبر الميزان الإلهي الذي تقاس به شرعية القوانين واللوائح في أي مجتمع إسلامي كما يخضع لها الجميع دون استثناء ابتداء من رئيس السلطة الحاكمة حتى أصغر المسلمين شأنًا<sup>(٢)</sup>.

ويرى فريق من المستشرقين والعلمانيين أن السلطة الحاكمة في النظام الإسلامي سلطة ثيوقراطية وهي السلطة التي يدعي فيها الحاكم الأعلى استمداد سلطاته من الله U ولهذا يجب أن تخضع له الأمة خضوعاً مطلقاً وهو لا يكون مسئولاً أمامها بل هو مسئول أمام الله الذي اصطفاه من دون الناس لأمر رياسة السلطة الحاكمة<sup>(٣)</sup> وهم يستدلون لإثبات دعواهم بما قاله عثمان بن عفان t حين طلب منه الثائرون عليه أن يعتزل الخلافة: (لا والله، إني لن أنزع رداء سربلينة الله)<sup>(٤)</sup>.

ويرد على هذا بأن عثمان t لم يزعم يوماً من الأيام أنه يحكم بحق الهي والناصب أنه بويع من المسلمين على أن يحكم بكتاب الله وسنة رسوله، وأن يسير سيرة الشيخين قبله، وليس في سيرته t ولا في أقواله ما يؤيد دعوى أنه كان يحكم في الأرض باسم السماء بل روى عنه قوله: (أمري لأمركم تبع، فوالله إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت أصبت أو أخطأت) وقوله: (إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في قيود فضعوها) وقوله: (إني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإذا نزلت من منبري فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فوالله لئن ردني الحق عبد لأذلن ذل العبيد) وقوله للثائرين: (ما أراي في شيء إن كنت أستعمل من رضيتم وأعزل من كرهتم الأمر أمركم)<sup>(٥)</sup>.

(١) رياسة الدولة، د/محمد رأفت عثمان ص (٤٤٠).

(٢) العقيدة والشرعية في الإسلام، المترجمة بالعربية، جولد زيهري، ص (٥٢) رقم (٦).

(٣) النظريات السياسية، د/ضياء الدين الرئيس، ص (٣٢١).

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان (١٨٠/١٧).

(٥) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٦٥/٣-٧٠).

وحين ثار عليه من ثار من الغاضبين والطائشين وأنكروا عليه بعض أمور من سيرته في الرعية لم يقل لهم: إن معي حقاً إلهياً أحكم به، فليس لكم إلا أن تدعنوا، بل دافع عن نفسه وعن تصرفاته دفاعاً مجيداً بالمنطق العلمي والموضوعي، لا بأي دعوى أخرى.

كما يستدل هؤلاء بالمقال الذي ينسب إلى أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، فبعد أن استولى على زمام الملك وأصبح الأمر بيده قال في خطبة له بمكة: (أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوقيفه، وتسديده، وتأبيده، وحارسه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيته بإذنه فقد جعلني الله عليه قفلاً، إن شاء أن يفتحني فتحتني لإعطائكم وقسم أرزاقكم، وإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني)<sup>(١)</sup>، ويرد على هذا الاستدلال بأن هذه المقولة منقولة من كتاب (العقد الفريد في الأدب) لابن عبد ربه الأندلسي، فهل يصح أن تعد كتب الأدب في عداد المراجع في المسائل الفقهية<sup>(٢)</sup>، وعلى فرض ثبوتها عن المنصور فإنما هي كلمة هو قائلها لا يؤخذ منها حكم وتوجيه فلسفي مأمورين باتباع سنة المنصور، ولا قوله حجة في دين الله فقلوه مردود عليه، وكما يستدلون أيضاً لإثبات دعواهم: بأن السلطة الحاكمة في النظام الإسلامي سلطة ثيوقراطية بتجربة الثورة الإيرانية المعاصرة حيث يقوم على السلطة فيها رجال الدين هناك مما يعطي انطباعاً لأول وهلة أن السلطة الحاكمة هناك سلطة دينية (ثيوقراطية) بحتة وأن أية سلطة في النظام الإسلامي تقوم عندنا ستكون نسخة من السلطة الإيرانية القائمة هناك.<sup>(٣)</sup>

ويرد على استدلالهم هذا بأنه لا يخفى على باحث منصف أن الاستدلال بالوضع الإيراني في هذا المقام استدلال منقوض من عدة نواح:

١ - أن الحكم في المذهب الإيراني الشيعي مخالف له عند أهل السنة وهم جمهور المسلمين والخط الشيعي في هذه القضية معروف لخط الفكر الإسلامي العام في مجال العقيدة ومجال الفقه.

٢ - الإمامة عند الشيعة من مسائل العقيدة والأصول، بينما هي عند أهل السنة من مسائل العمل والفروع.

٣ - الإمامة أصلها عندهم النص وعندنا الاختيار.

٤ - الإمام عندهم معصوم وعندنا بشر من الناس يخطئ ويصيب.

٥ - وهو عندهم يرتقى إلى مقام لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل وهو عندنا يمثل قول

أبي بكر الصديق: (إني وليت عليكم ولست بخيركم)<sup>(٤)</sup>

(١) الحاكم وأصول الحكم، د/صباحي عبده سعيد، ص (٤٣).

(٢) مبادئ نظام الحكم الإسلامي، د/عبد الحميد متولي، ص (١٩٠).

(٣) مجلة فكر: العدد الثامن، ديسمبر ١٩٨٥م، ص (٧٣، ٧٤).

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام (٦١١/٤) وما بعدها.

وقوله أيضا: (فإن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني، أطعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم) وقوله أيضا: (أنا متبع ولست بمبتدع فإن استقممت فتابعوني وإن زغت فقوموني)<sup>(١)</sup>.

من هنا نقول: إن التجربة الإيرانية نظرا لطبيعتها الخاصة من حيث أصل الفكرة، ومن حيث النشأة والظروف المحيطة بها، ومن حيث القائمون على تطبيقها تظل لها خصوصيتها التي تحفظ ولا تقاس عليها كما يقول الفقهاء، فلا يجوز أن يحتج بها على أهل السنة وعلى ذلك فإن السلطة الحاكمة في النظام الإسلامي ليست سلطة استبدادية ولا ديمقراطية ولا ثيوقراطية ولا غير ذلك من السلطات، وإنما هي سلطة موصوفة ومقيدة بالإسلام ولا يجوز أن يطلق عليها غير هذا الاصطلاح.

هكذا تبني الإخوان المسلمون الديمقراطية كتعبير عن قبول الحل السلمي في الصراع السياسي مع الأنظمة القائمة مقابل الخيار المسلح الذي اتخذته بعض جماعات العنف في تلك المرحلة، وتراوحت الدوافع بين التسليم الواقعي بضرورة اتخاذ هذا المسار كخيار وحيد مستطاع للمشاركة في العمل السياسي وبين الرغبة في استثمار الصراع القائم المنهك والمسئ للصورة لدى الغرب بين طرفين لا يعرف كلاهما سوى لغة العنف ومن ثم الظهور بصورة الدعاة الطيبين الراغبين في العمل السياسي

في مارس عام ١٩٩٤م أصدرت جماعة الإخوان المسلمين مجموعة من الوثائق هي الأخطر في تاريخها من وجهة نظرنا من بينها وثيقة بعنوان (الشورى وتعدد الأحزاب في المجتمع المسلم) وقد تناولت الوثيقة رؤية الإخوان للديمقراطية والتعددية والعمل الحزبي وانتهت إلى ما يلي:-

١ - الأمة مصدر السلطات .

٢ - إقرار وجود دستور مكتوب يفصل بين السلطات ويحفظ الحريات .

٣ - قيام مجلس أمة منتخب .

٤ - الدعوة إلى تعدد الأحزاب والتعددية السياسية .

٥ - إقرار تداول السلطة عن طريق انتخابات برلمانية دورية

حتى قال شيخهم القرضاوي (الديمقراطية فيها ضمانات للحرية وأساليب لقمع الحكام المستبدين وهي سياسة شرعية بإمها واسع في الفقه الإسلامي فالشورى والديمقراطية وجهان لعملة واحدة)<sup>(٢)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٨٢/٣، ١٨٣)، تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص (٦٩).

(٢) جريدة الشرق، عدد (٢٧١٩)، بتاريخ ١٩/٣/١٤١٦هـ .

## المطلب الخامس: الديمقراطية في ميزان السياسة الشرعية:-

### ١ - الديمقراطية والحكم بغير ما أنزل الله:-

إن ما تقوم عليه الديمقراطية من التحاكم إلى غير شريعة الإسلام هو في حقيقته اتباع للطاغوت وتحاكم إليه من دون الله ﷻ، قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) (١).

قال جماهير أهل اللغة: (الطاغوت: كل ما عبد من دون الله. قال ابن عباس ومقاتل والكلبي وغيرهم: الطاغوت الشيطان. وقيل: هو الأصنام) (٢).

قال ابن كثير الدمشقي (رحمه الله): (هم الخارجون عن طاعة الله، المخالفون لرسله) (٣). ومن ثم قد يكون هذا الطاغوت المعبود من دون الله بشرا ظاهرا أو جنا مختفيا عن الأعين، وقد يكون حيوانا مثل البقرة والعجل، وقد يكون قوة من قوى الطبيعة، وقد يكون حجرا من الأحجار نحتت الناس وصوروه ثم عبدوه، وقد يكون شيطانا مريدا، وقد يكون نبيا معصوما أو وليا صالحا ولا ذنب له في عبادتهم إياه.

قال الله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) (٤)، وقال تعالى (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٥)، أي: (إنما وليهم الشيطان يزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات) (٦).

قال شيخ الإسلام بن تيمية (رحمه الله): (يتحاكمون إلى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله كما يصيب ذلك كثير ممن يدعي الإسلام وينتحلله في تحاكمهم إلى مقالات الصابئة، أو إلى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الإسلام من ملوك الترك وغيرهم) (٧).

ومن هنا عدت الديمقراطية شكلا من أشكال الطواغيت ذلك أن جحود الحكم بما أنزل الله

(١) سورة النساء الآية ٦٠.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث مادة (طاغ)، ولسان العرب (٩/١٥)، المصباح المنير (٣٧٣/٢)، ومختار الصحاح (١٦٥/١)، وتفسير القرطبي (٢٨٢/٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٢/٤).

(٤) سورة الزمر الآية ١٧.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٧.

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٣١٣/١).

(٧) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٣٩/١٢).

وإنكار التشريع الإسلامي من الأصل كفر صريح بلا أدنى شك أو ريب. أما الاعتراف به والاعتقاد فيه مع تعطيل بعضه أو تعطيله كله فينطبق على صاحبه ما جاء في الآيات الكريمة التالية: قال الله U (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) <sup>(١)</sup>.  
 قال الله U (النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) <sup>(٢)</sup>.  
 قال الله U (وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)) <sup>(٣)</sup>.

قال طاووس وعطاء: (كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق) <sup>(٤)</sup>، وعن منصور عن إبراهيم قال: نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ورضي الله لهذه الأمة بها <sup>(٥)</sup>، وقال السدي (رحمه الله): (ومن لم يحكم بما أنزل الله فتركه عامداً، أو جار وهو يعلم فهو من الكافرين) <sup>(٦)</sup>، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به فهو ظالم فاسق) <sup>(٧)</sup>.

وعن ابن عباس في قوله U (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) <sup>(٨)</sup>.  
 قال: ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة <sup>(٩)</sup>.  
 قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): (الصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم؛ فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعدل عنه

(١) سورة المائدة الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٥.

(٣) سورة المائدة الآية ٤٧.

(٤) ينظر: تفسير الثوري (١٠١/١)، وتفسير الصنعاني (١٩١/١)، وسنن الترمذي (٢١/٥)، وتعظيم قدر الصلاة (٥٢٢/٢)، وتفسير الطبري (٢٥٦/٦).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٦٢/٢).

(٦) السابق.

(٧) السابق.

(٨) سورة المائدة الآية ٤٤.

(٩) ينظر: المستدرک على الصحيحين (٣٤٢/٢).

عصيانا مع اعتقاده أنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر<sup>(١)</sup>.

والحكم بغير ما أنزل الله من شؤمه أن ينعكس على الفرد والمجتمع بالوبال والدمار، فبسبب تعطيل التشريع وتنحية الحدود تفاقمت الأزمة واشتدت المحنة وعم الضرر وتبحج الباطل وانتشر الفساد وعم الخراب البلاد والعباد.

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): (لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ عارض لهم من ذلك فساد في فطرهم، وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور، وغلبت عليهم حتى ربي فيها الصغير وهرم عليها الكبير فلم يروها منكرا، فجاءتهم دول أخرى قامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والإضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق، والمداينة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل، فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور، وأهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها، فإذا رأيت دولة هذه الأمور قد أقبلت ورايتها قد نصبت وجيوشها قد ركبت فبطن الأرض والله خير من ظهرها، وقلل الجبال خير من السهول، ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة الناس، اقشعرت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبايح، وهذا والله منذر بسيل من عذاب قد انعقد غمامه ومؤذن بليل بلاء ادلهم ظلامه فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح<sup>(٢)</sup>).

وقد أمر الله U بالإعراض عمن تحاكم إلى غيره، ولو ادعى أنه من أهل الإيمان قال الله U (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْضَنَا إِلَيْنَا وَتَوْفِيقًا (٦٢)

(١) ينظر: مدارج السالكين (٣٣٧/١).

(٢) الفوائد (٤٨/١، ٤٩).

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (١).

قال ابن كثير (رحمه الله) (٢): هذا إنكار من الله U على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله، وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، الخلق خلق الله، والأمر أمره U، كما قال الله U (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (٣)، فكما أنه U الخالق وحده، فهو الأمر، ويجب علينا طاعته فيما أمر والانتفاء عما نهى عنه وزجر، وقد مقت الله اليهود والنصارى، الذين جعلوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله في طاعتهم في التحليل والتحریم التي هي من خصائص الإله الخالق المدبر سبحانه قال الله U (اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٤).

والتحاكم إلى غير ما أنزل سبب للفتنة والزيغ كما قال الله U (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٥).

وقد أمر الله U بإتباع ما أنزله في الحكم والعبادة وغيرها بقوله U (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (٦).

وقال سبحانه محذرا المؤمنين من رد حكمه وقضائه وأمره (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) (٧)، وأمر سبحانه بالحكم بالعدل، وهل يكون ذلك إلا بحكم الله U، وحكم رسوله ﷺ قال الله U (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (٥٨) (٨).

(١) سورة النساء الآيات ٦٠-٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٠/١).

(٣) سورة الأعراف الآية ٥٤.

(٤) سورة التوبة الآية ٣١.

(٥) سورة النور الآية ٦٣.

(٦) سورة الأعراف الآية ٣.

(٧) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

(٨) سورة النساء الآيتان ٥٨، ٥٩.



فيا سبحان الله! كم جمعت هذه الآية من أمر للحاكم وللمحكوم والطريقة التي يسرون عليها، ثم بين أن هذه الطريقة هي خير الطرق فتنبه تكن من المفلحين.

وبين سبحانه وتعالى أن حكم الله هو الدين القويم والصراط المستقيم، ولكن جهل الناس جعلهم لا يفرقون بين الخير والشر والعت والسمين، فالله المستعان، كما قال الله U (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)) (١).

وأمر سبحانه عند الاختلاف بالتحاكم إلى ما أنزل الله بقوله U (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)) (٢).

وأنزل سبحانه الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه بقوله U (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣))، وقد أمر الله المتقدمين والمتأخرين بالحكم بما أنزل، فقال مخبرا عن اليهود (وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤))، وقال الله U (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٥)).

والتحاكم إلى غير ما أنزل الله يعد سفها من صاحبه قال الله U على لسان نبيه (أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْتِغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤)) (٦).

وقال الله U محمد r (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)) (٧).

وقال على لسان يوسف U (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ

(١) سورة يوسف الآية ٤٠.

(٢) سورة الشورى الآية ١٠.

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٣.

(٤) سورة المائدة الآية ٤٣.

(٥) سورة ص الآية ٢٦.

(٦) سورة الأنعام الآية ١١٤.

(٧) سورة الأنعام الآية ٥٧.

مُتَفَرِّقَةً وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧))<sup>(١)</sup>، وقال الله U (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢))<sup>(٢)</sup>.

وهو أحكم الحاكمين كما قال الله U (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨))<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام بن تيمية (رحمه الله): في (منهاج السنة) (ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر فإنه من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله U كسوالف البادية وكأوامر المطاعين فيهم ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيرا من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا بذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار)<sup>(٤)</sup>.

أما الإسلام فقد جعل منهجا مستقيما للحكام والمحكومين يسرون عليه.

## ٢ - الديمقراطية والعلمانية:-

العلمانية هي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين، وهي عزل الدين عن الدولة والمجتمع.

والعلمانية لغة مشتقة من (العلم بمعنى العلم، هو خلاف الديني أو الكهنوتي)<sup>(٥)</sup>، وهذا الاشتقاق يوازي في الإنجليزية Secularism، والتي تعني حرفيا (الدنيوية)<sup>(٦)</sup> أو المذهب الدنيوي. من أجله فإنها غير العلمانية أو العلمية المشتق من العلم والتي هي بالإنجليزية Scientism.

أنواع العلمانية:-

هناك نوعان من العلمانية: العلمانية الشاملة، والجزئية:

## الأول العلمانية الشاملة:-

والعلمانية الشاملة هي رؤية شاملة للعالم ذات بعد معرفي كلي ونهائي، تحاول بكل صرامة

(١) سورة يوسف الآية ٦٧.

(٢) سورة غافر الآية ١٢.

(٣) سورة التين الآية ٨.

(٤) ينظر: منهاج السنة النبوية (١٣٠/٥).

(٥) ينظر: المورد: قاموس إنكليزي-عربي، منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٩٧١م، ص (٨٢٧).

(٦) ينظر: المورد: قاموس إنكليزي، عربي، منير البعلبكي، ص (٨٢٧).

تحديد العلاقة بين الدين والمنطلقات الميتافيزيقية لكل مجالات الحياة. وهي رؤية مادية تنظر إلى أن مركز الكون كامن فيه غير مفارق أو مجاوز له. وأن العالم بأسره مكون أساساً من مادة واحدة، ليست لها أية قداسة ولا تحوي أية أسرار، وفي حالة حركة دائمة لا غاية لها ولا هدف، ولا تكترث بالخصوصيات أو التفرد أو الثوابت. وهذه المادة تشكل كلا من الإنسان والطبيعة<sup>(١)</sup>.

هذا النوع من العلمانية ينظر إلى أن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة أو المادة، وليس له حدود مستقلة تفصله عنها. ومن ثم فإنه ظاهرة بسيطة لها بعد مادي فقط، وهو كائن ليس له وعي مستقل، خاضع للحتميات المادية المختلفة، مثله مثل الكائنات الأخرى.

وهذه الرؤية تشكل منظومة معرفية، تفيد أن الحواس والواقع المادي مصدر المعرفة، فالعالم المعطي لحواسنا يحوي داخله ما يكفي لتفسيره والتعامل معه. كما تشكل رؤية أخلاقية، تفيد أن المعرفة المادية مصدر وحيد للأخلاق. ولما كانوا ينظرون إلى أن المادة في حركة دائمة، فلا يوجد أية قيم أخلاقية ثابتة<sup>(٢)</sup>.

فالعلمانية بهذا المعنى ليست مجرد فصل الدين أو أي قيم عن الدولة، أو عما يسمى (الحياة العامة)، وإنما هي فصل لكل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، المتجاوزة لقوانين الحركة المادية والحواس، عن العالم. أي عن كل من الإنسان في حياته العامة والخاصة، والطبيعة، بحيث يصبح العالم مادة نسبية لا قداسة لها<sup>(٣)</sup>.

#### الثاني العلمانية الجزئية:-

والعلمانية الجزئية هي رؤية جزئية للواقع، حيث لا تنفي الجانب الروحي للإنسان، كما لا تنفي القيم الدينية، وإنما تحدد مجال هذه القيم في الجانب الفردي للإنسان، أو ما يسمى بالحياة الخاصة فقط. بمعنى أن الدين يحدد علاقات الأفراد برههم، دون المعاملات الإنسانية.

لذلك فإن العلمانية الجزئية تذهب إلى وجوب فصل الدين عن عالم السياسة، وربما بعض الجوانب الأخرى من الحياة العامة، وهو ما يعبر أحياناً بعبارة (فصل الدين عن الدولة).

وهذه الرؤية من شأنها لزوم الصمت في المجالات الأخرى من الحياة، لكنها لا تنكر بالضرورة وجود منطلقات وكمالات أخلاقية وإنسانية أو دينية، ولذا لا تشكل منظومة معرفية أو أخلاقية<sup>(٤)</sup>، وهذه الرؤية تسعى إلى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار عنها، لكنها لا تعتبر الشرع مرجعاً لها، وقد عبر ابن خلدون عن هذه الرؤية بالملك السياسي الذي عرفه بقوله: (حمل

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١٢١).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (١٢٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص (١٢٢).

(٤) ينظر: المقدمة، لابن خلدون، ص (١٣٤).

الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار<sup>(١)</sup>.

لذلك فإن العلمانية الجزئية هي: (فصل الدين وإبعاده عن الدولة، وقيام الدولة على أسس دنيوية لا دينية، تتمثل هذه الأسس في العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة العامة في مختلف شئون الدولة)<sup>(٢)</sup>.

ولهذا فإن العلمانية الكلية والجزئية تختلفان في بعض الجوانب وتتفقان في بعضها الآخر. أما موطن الاختلاف فإن العلمانية الشاملة تنكر الدين بالكلية، وأما العلمانية الجزئية فتعترف به. ومع ذلك فإنهما يتفقان في أنه لا دخل في الشئون العامة للدولة. وهذه وتلك تخالف المنطق الشامل الوارد على لسان (صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت العلمانية تعني الفصل بين الدين والدولة، وعدم تدخل الدين في أي شأن من شئون الدولة، فإنها لا تتفق مع الإسلام الصحيح في شيء، وذلك أن الإسلام دين كامل لا تنفصل فيه العقيدة عن الشريعة، والدين الحق لا يمكن ابتداء أن يكون عقيدة مفصولة عن الشريعة، فالالتزام بالشريعة في دين الله حق هو مقتضى العقيدة ذاتها. ومن ثم لا يقبل الإسلام أن تترك فيه الشريعة لحساب العقيدة أو يؤخذ بالعقيدة على حساب الشريعة، بل هو كل متكامل، ولا يقبل في منطق الإسلام أي يؤخذ بعضه ويترك الآخر، وقد مزج النبي ﷺ بين الدين والدولة، وعندما أقام الدولة الإسلامية وأسسها في المدينة وأقام أركانها على دعائم الإسلام، وجعل كل ركن من أركانها مكوناته أوامر إلهية لا بد من تنفيذها، وإذا أردت أن تعلم ذلك فانظر إلى الأركان الأساسية التي أقام عليها النبي ﷺ دولة المدينة، وهي السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية فإنها في مكوناتها تعاليم إسلامية.

إن الإسلام لم يترك مجالا من المجالات الاجتماعية إلا وكان له إسهام بارز فيه، في تكوينه وتنظيمه، بمعنى أنه لا يوجد شيء في المجتمع يحتاج إلى العلمانية، وبذلك فليس لها مكان مع الإسلام، فإما أن يوجد الإسلام ولا علمانية، أو توجد العلمانية ولا إسلام، وإذا أراد بعض المسلمين المعاصرين أن يوفقوا بين العلمانية والإسلام في مجتمع إسلامي فإن هذه المحاولة ستبوء الفشل وإن نالت حظها ببعض النجاح مثال ذلك: التبرج الذي دعا إليه كثير من المتفرنجين، وخروج المرأة، ومساواتها بالرجل.. إلخ، وهذه المسائل وغيرها بعدما أخذت حظها من التحقق، فإننا نراها تتراجع مرة أخرى، فتعود المرأة إلى الحجاب، وتتمنى أن تكون ربة منزل وتقر في بيتها وأن تكون تابعة للرجل لا مساوية له.

(١) ينظر: العلمانية: النشأة والأثر في الشرق والغرب، زكريا فايد، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط ١٩٨٨م، ص (١٢).

(٢) ينظر: المقدمة، لابن خلدون، ص (١٣٤).

(٣) ينظر: السابق.

إن العلمانية لا تلتقي أبدا مع الإسلام؛ لأنه لا توجد حاجة تدعو إليها في المجتمع الإسلامي فالمجتمع الإسلامي على مدى تاريخه لم يكن بحاجة إلى نظم علمانية، ولم توجد فيه مشكلة يتعين حلها علمانيا، والأخذ بالعلمانية يعني:

أولا:- أن المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام ومبادئه، في الحكم والسياسة، وفي نظراته إلى الإنسان، وفي تحديد منهج السلوك له، تنشأ له مشكلة تتعين العلمانية حلها.

ثانيا:- أن العلمانية كحل تتطلب أن نستورد أولا من الأجنبي مشكلته، فإن صعب استيرادها فلتصورها على الأقل، وتكون العلمانية حينئذ حلا لوهم، وليست لحقيقة قائمة فعلا، والأمر الأول لا يستقيم مع طبيعة الإسلام، والثاني لا يستقيم مع طبيعة الأمور.

قال محمد شاكر الشريف: في كتابه (حقيقة الديمقراطية)<sup>(١)</sup>: (العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية هي علاقة الفرع بأصله، أو علاقة الثمرة الخبيثة بالشجرة التي أثمرتها).

وقال أيضا: (المرجع السابق) (والديمقراطية تقوم أساسا على إسناد السلطة العليا أو السيادة للأمة أو الشعب، وهذا يعني أن الكلمة العليا في جميع النواحي هي للسيادة).

وقال صاحب (الموسوعة الميسرة)<sup>(٢)</sup> العلمانية (Secularism):- (وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية) وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم وهي اصطلاح لا أصل له بكلمة العلم، وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، وانتقلت إلى بقية الدول العربية في القرن العشرين).

وتحت عنوان الجذور الفكرية والعقدية<sup>(٣)</sup> قال المؤلف:- (لليهود دور بارز في ترسيخ العلمانية من أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلا وبين أمم الأرض).

على أن المتأمل يجد أن الإلحاد هو السمة المميزة للفكر العالمي وله وجهان:

الأول:- ينكرون الدين بالكلية، وينكرون وجود الخالق، ويعلنون الحرب على المؤمنين.

الثاني:- يؤمنون بالله إيمانا نظريا، فلا بأس أن يؤمن بالله U من أجل أن يحصل على الطمأنينة الدنيوية، ولا بأس أن يكون مشركا ملحدا<sup>(٤)</sup>.

### ٣ - الديمقراطية والماسونية:-

الماسونية هي حركة سرية عنصرية استخدمت الشيوعية والاستعمار في هدم الأديان والقيم الدينية والسيطرة على الشعوب النامية والتخطيط لقيادة العالم والاستيلاء على مقدرات الأمم.

(١) ص (٤٠).

(٢) (٦٨٩/٢).

(٣) (٦٩٣/٢).

(٤) ينظر: المذاهب والتيارات، ص (٢٦٥)، والإخوان المسلمون والديمقراطية، ص (١٣٤، ١٣٥).

قال أحد المستشرقين وهو السيد الحاج وكان برتبة الأستاذ الأعظم في كتابه (هيكل سليمان): (إن مبدأ هذه الفرقة الماسونية وتعاليمها ودرجتها وغايتها ترمي إلى تقديس كل ما ورد في التوراة، واحترام الدين اليهودي، والعمل على تجديد المملكة اليهودية في فلسطين، وإعادة هيكل سليمان).

وهذه الفكرة نشأت في بداية القرن الأول الميلادي، عندما كان حاخامات اليهود يتبنون بظهور نبي جديد، فقد نشأت في فرقها جمعية سرية، عرفت باسم (القوة الخفية)، جعلت مهمتها تتلخص في القضاء على المسيحية وأتباعها في هذا الوقت.

وكان رئيسها أحد ملوك اليهود هيردوس، وقد انعقد أول اجتماع للمجلس السري المشرف على الجمعية في أغسطس، سنة (٤٣) للميلاد في أحد بيوت الملك، وأطلق على المكان الذي اجتمعوا فيه الهيكل، ووضعوا صيغة اليمين، ثم أقرع الملك هيردوس إلى تأسيس أول محفل في مدينة أورشليم القدس.

واستمرت الجمعية في أداء رسالتها من التنكيل والتعذيب للمسيحيين، حتى أصيب رئيس الجمعية بمرض شديد أفقده بصره، ثم مات بعد ذلك، ثم تولى بعده حيرام أبيود، وكان يسمى (الرجل الشيطان)، وفعل بالمسيحيين الشيء الكثير، حتى أكلته الذئاب وهو في لبنان يبحث عن أتباع المسيح.

ثم المرحلة الثانية لهذه الجمعية السرية الخبيثة تبدأ من عام (٥٥٥م)، وفيها أقيمت هياكل كثيرة في مختلف البلدان، والتي من أشهرها (هيكل روما)، فعملت على التنكيل بالمسيحيين والمسيحية نفسها؛ فقد قضى بولس اليهودي الأصل على البقية الباقية من المسيحية، فقد اعتنقها ليهدمها، وكان من يشد أزره في ذلك القوة الخفية الماسونية، كما حاولوا في هذه المرحلة النيل من الإسلام؛ لأنها امتدت إلى (١٧٧٠م).

أما المرحلة الثالثة، فتبدأ على الأرجح من (١٧٧٠م) حيث اتصلوا بـ(آدم وايزويت) الذي ارتد عن المسيحية، وهو ألماني الجنسية، وكلفوه مراجعة (برتوكولات حكماء صهيون) القديمة، وإعادة تنظيمها على أسس حديثة، وكان الهدف في هذه المرحلة أكبر مما كان فيما سبق، فقد كان هدفهم في هذه المرحلة وضع خطة تمهيدية للسيطرة على العالم، وفرض عقيدة الإلحاد والشر على البشر جميعا، وقد تم لهم بعض ما أرادوا، فقد سقطت حكومة فرنسا وإنجلترا، ودولة القياصرة، وفشا الإلحاد والفساد بين كثير من أبناء هذه الدول، ولا يخفى دور هؤلاء اليهود الثلاثة، وهم (داروين) في علم الأحياء، و(فرويد) في علم النفس، و(دور كايم) في علم

الاجتماع، فقد تعاونوا جميعا على نشر الإلحاد وهدم الأخلاق، وتكوين المحفل الماسوني الذي عرف باسم (محفل الشرق الأكبر) فكان مركزا لجميع المحافل الماسونية في العالم<sup>(١)</sup>.

وله محافل الآن في أغلب الدول الإسلامية، وتجد أن كثيرا من المنتسبين إليها هم المثقفون - زعما منهم - من رؤساء الجامعات والأساتذة وغيرهم.

وتعد الديمقراطية الولد البار للحركة الماسونية اليهودية التي تسعى إلى إنشاء دولة ديمقراطية عالمية لا دينية، وهذه المنظمة اليهودية الكفرية تعتبر من أشر المنظمات على الإطلاق وهي تعادي الدين الإسلامي عداً شديداً.

قال صاحب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة<sup>(٢)</sup>: تحت عنوان (الأفكار والمعتقدات): (يكفرون بالله ورسوله، وكتبه، وبكل الغيبات، يعملون على تقويض الأديان، العمل على إسقاط الحكومات الشرعية، إباحة الجنس، واستعمال المرأة وسيلة للسيطرة. العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنازعة تتصارع بشكل دائم) إلى أن قال: (جذور الماسونية يهودية صرفة من الناحية الفكرية، ومن حيث الأهداف والوسائل، وفلسفة التفكير وهي بضاعة يهودية أولا وآخرا، وقد اتضح أنهم وراء الحركات الهدامة للأديان والأخلاق).

وبعد هذا يظهر جلياً مدى خطر الديمقراطية على المسلمين؛ لأنها تريد أن تفككهم، وتجعلهم لا يؤمنون سوى بالمادة، وقد نص صاحب الموسوعة على أن الديمقراطية وليدة عن الماسونية<sup>(٣)</sup>، قال: (ويقومون ما يسمى بالمحافل تمهيدا لتأسيس ديمقراطية عالمية)<sup>(٤)</sup>.

#### ٤ - الديمقراطية والشيوعية:-

ظهرت الشيوعية في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي تيار جديد عقائدي فكري سياسي واجتماعي في آن واحد، وهو تيار الفلسفة الماركسية التي كانت رد فعل للرأسمالية من الناحية الاقتصادية في أوروبا.

وهي في الوقت نفسه استمرار للتفكير العقلي المادي، والقوى التي دعمته في بداية الأمر القوى الشعبية الجاهلة بسبب ظلم ملوكها وحكامها.

وكان مؤسس هذه الفكرة الخبيثة هو (كارل ماركس) اليهودي؛ حيث دعا جماهير العمال وجماهير الصعاليك، وغير المالكين إلى الانقضاض على أنظمة الحكم، وإلى ثورة الدهماء.

وهذه الفكرة واكت ما قرره حكماء صهيون في بروتوكولاتهم؛ إذ دعوا إلى إثارة الجماهير

(١) ينظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، ص (٢١٠ - ٢١٣).

(٢) (٥١٤/١).

(٣) (٥١٣/١).

(٤) الإخوان المسلمون والديمقراطية، ص (١٣١ - ١٣٣).

على حكامهم، بحجة الفساد والظلم.

فالتوافق بين فكرة (كارل ماركس) وبين ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون يبين أن قيام الشيوعية والاشتراكية كان بإيعاز من اليهود وعلى أيديهم قامت هذه الحركة<sup>(١)</sup>.

والشيوعية حركة معادية للإسلام والمسلمين وقد اتبعت الشيوعية لخاربة الإسلام ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:- إيهام أصحاب الدين أنهم أحرار في عقائدهم.

المرحلة الثانية:- محاولة تفسير الدين تفسيراً ماركسياً.

المرحلة الثالثة:- إظهار معائب الدين وبعده عن الحقائق العلمية ومهاجمته.

جاء في مقررات المؤتمر الثاني والعشرين للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي يناير ١٩٤٤م ما يلي لقد أدركنا في الاتحاد السوفيتي، منذ بدء خطورة بقاء الميراث الديني على حاله في المجتمعات السوفيتية.

ولا زلنا نواجه اليوم تحديات خطيرة وخصوصاً في المناطق الإسلامية لذا قرر المؤتمر تجديد العزم على قهر البعث الديني في المناطق الإسلامية.

يصور لنا هذا القرار قمع الثورة الشيوعية للأديان وأن غرضها الإلحاد، والضرب بيد من حديد على المتدينين وخلال ستين عاماً خلت لم تجد شيئاً، لأنه ظهر جيل جديد من داخل الأسوار الحديدية. قد لامس الإيمان قلبه فشكّل خطراً على الثورة الشيوعية وأخذت تفكر في وضع خطة جديدة لا لماهية الدين بل للانحراف به نحو الساحة الحمراء وذلك ببلشفته تدريجياً.

وقد أوردت مجلة الدين والعلم السوفيتية ما يلي:- (أليس من الضروري أن نهزأ من قصص الإنجيل والقرآن والكتب الدينية التعليمية وأن علينا أن نعيد تفسير قصص الدين وسير رجاله ومواعظهم بقلب اشتراكي).

فإذا قلنا مثلاً: إن يسوع تأثر بطلب الحق للفقراء فهذا تفسير اشتراكي وبمثل هذا نقول عن محمد وغيره.

ويجب أن نجد بعض رجال الدين وبعض النصوص الدينية إذا أمكن لمثل هذه الدعوات الاشتراكية؛ ولذا فيجب أن تخضع المعامل الدينية والجامعات والمؤسسات لسيادة الحزب الاشتراكي في الدولة الاشتراكية ولكن من الضروري أن يأتي وقت تقر فيه القيادة الاشتراكية قراراً حازماً بأن لا مبرر بعد للهدنة مع الميراث الديني وأصحابه.

وإلا أدت هذه المهادنة إلى بعث ديني فيه خطر على التجربة الاشتراكية<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: الإخوان المسلمون والديمقراطية، ص (١٣٦، ١٣٧).

(٢) ينظر: بلشفة الإسلام، د. صلاح الدين المنجد، ص (٢٤).



إن المنهج الإسلامي في أصوله الإلهية الثابتة يقوم على أساس فكرة التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فهو لا يسحق الفرد لصالح الجماعة (كما في الشيوعية) ولا يسحق الجماعة لصالح الفرد (كما في الرأسمالية).

ولكن إذا استحال التوفيق كما في حالات الحروب المدمرة، أو المجاعات والأوبئة فإن التطبيق الإسلامي يختار المصلحة الجماعية. ويقرر أن يقتسم الناس الطعام ولو عاشوا جميعاً على أنصاف بطونهم.

يقول عمر t: (لو لم يجد الناس كفايتهم من القوت فعلى أهل كل بيت أن يستضيفوا مثل عددهم فيقاسموهم أنصاف بطونهم، فإنه لن يهلكوا على أنصاف بطونهم)<sup>(١)</sup>.

وقال عمر قولته الخالدة حينما رأى مظاهر الشراء الفاحش على بعض الناس: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء)<sup>(٢)</sup>.

واعتبر ابن حزم امتلاك الأرض حراماً لمن لا يزرعها<sup>(٣)</sup>.

وحرمة المال الخاص في الإسلام حقيقة مثل حرمة المال العام (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه).

إن الإسلام التزام بالمنهج الإلهي وهو يستهدف التوازن الدقيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة.

إن تاريخ الإسلام ناصع، قام على احترام الكرامة الإنسانية وحرية الفرد والجماعة فسعدت الشعوب في ظلال الحكم الإسلامي وتمتع كل فرد فيه بما أنعم الله عليه من طاقة جسدية أو عقلية. فأتاحت للناس طرق التفكير الحر والابتكار والتجديد واستطاعوا في ظله أن يسموا بأنفسهم وبشعوبهم.

والتابع حركة الديمقراطية والشيوعية يجدهم وجهان لعملة واحدة والغرض من هذين الوجهين فصل الدين عن الدولة وكذلك إلغاء الدين بين الشعوب، حتى تصير كل الشعوب مادية منغمسة ومنجرفة وراء الحياة المادية، ووراء التحلل والفساد فحسب.

#### ٥ - أقوال أهل العلم في الديمقراطية:-

أخبرنا الحق U بأن أهل العلم هم أقدر الناس على فهم الغامض، وتوضيح المشكل، قال الله U (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ

(١) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣/٣١٦)، وأخبار المدينة (١/٣٩٤)، وأنساب الأشراف (٣/٤٢٤).

(٢) سبق

(٣) ينظر: الحلي بالآثار.

مِنْهُمْ لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ((٨٣))<sup>(١)</sup>. وأخبرنا الله U بأنه لا يسوى بين أهل العلم والإيمان، وأهل الجهل والعصيان، فقال U ( أَمْ مَنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩) )<sup>(٢)</sup>.  
هذه الآية وإن كانت قد نزلت في أبي بكر الصديق، أو عمر بن الخطاب<sup>(٣)</sup> إلا أن حملها على العموم لا يضر.

قال ابن كثير (رحمه الله): (أي لا يستوي العالم الخاشع، بالجاهل العاصي إنما يتذكر أولوا الألباب، أي إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل)<sup>(٤)</sup>.  
كما أخبر الله U أن العلم هو سبيل الخشية لله والإيقان بقدرته، فيقول (وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)<sup>(٥)</sup>.  
والله U لم يفضل العلماء على الجهال فقط، بل إنه فاوت بين درجات العلماء أنفسهم، فقال: U ( هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) )<sup>(٦)</sup>.  
ومن خلال ما كتبه علماء الأمة نذكر أقوالهم في الديمقراطية .

قال أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي: في كتابه (قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسد) تحت عنوان الديمقراطية كفر<sup>(٧)</sup> (والردة التي في أوساط الأمة الإسلامية، لا يعلمها ويعقلها ويفهمها إلا من رزقه الله علما نافعا، هم الذين يشعرون بالردة التي يقول عنها رسول الله ٣: "من بدل دينه فاقتلوه"، ولو أقام المسلمون حد الردة لما ظهرت في مجتمعاتنا دعايات، ولما ظهر في مجتمعاتنا كفر بواح. الديمقراطية التي معناها: حكم الشعب نفسه بنفسه تعتبر كفرا، ومن دعا إلى الديمقراطية وهو يعرف معناها فهو كافر؛ لأنه يدعو إلى أن يكون الشعب شريكا مع الله، فرب العزة يقول: ( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ

(١) سورة النساء الآية ٨٣.

(٢) سورة الزمر الآية ٩.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٤٧).

(٤) ينظر: السابق نفس الصفحة.

(٥) سورة فاطر الآية ٢٨.

(٦) سورة آل عمران الآية ٧.

(٧) ص، (٢٢٠ - ٢٣٠).

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠))<sup>(١)</sup>، وقال الله ﷻ (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠))<sup>(٢)</sup>، وقال الله ﷻ (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦))<sup>(٣)</sup>.

ثم قال: كفرنا بالديمقراطية التي تجعلنا شركاء مع الله إلى أن قال: أتدرون ما معنى الديمقراطية؟ معناها: التصويت على أي أمر، وقد صوت في بعض البلاد الكافرة على اللواط، وصارت الأغلبية الذين يقولون باللواط، ثم قررته الدولة.

وقال: وأصبحت الإذاعات تنبأى بالديمقراطية، فعلينا أن نثبت على ديننا، فإن الأمر خطير، ردة سافرة، وكفر بواح، (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُتِنُوا بِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١))<sup>(٤)</sup>.

وقال (رحمه الله): (فيها فساد الشعوب، وفيها فساد الدين والدنيا، فساد الدنيا؛ لأن ديمقراطية البلاد الإسلامية ليست صادقة، وإن كانت الديمقراطية كفرا، فهي لصالح الكفر، أن تخرج امرأتك كاسية عارية، أن تشهد امرأتك النوادي، وأن تخرج بدون إذنك، بل لو رضيت أن ترتكب الفاحشة، فليس لك عليها سبيل).

وقال أيضا: (وقد اغتر بهم كثير من الناس، يظنون أنهم يدعون إلى العدالة، أو إلى الحرية، فحريتهم فضيحة، وعدالتهم ليست بعدالة، بل هي ظلم وجور، وخداع وغدر).

وقال أيضا: في كتاب (تحفة الحبيب) تحت عنوان الزنادي ومجلس الشيوخات في اليمن<sup>(٥)</sup> (وما معنى الديمقراطية؟ معناها: الشعب يحكم نفسه بنفسه، ولو حصل التصويت أن اللواط حلال، فالتصويت مقدم على الكتاب والسنة).

وقال الشيخ أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري في المبادئ المفيدة<sup>(٦)</sup>: (فإذا قيل لك: ما الديمقراطية؟ فقل: هي حكم الشعب نفسه بنفسه، بغير كتاب ولا سنة)، فإن قيل لك: ما حكمها؟ فقل: هي شرك أكبر، والدليل قول الله ﷻ (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الكهف الآية ١١٠.

(٢) سورة الجن الآية ٢٠.

(٣) سورة الكهف الآية ٢٦.

(٤) سورة الشورى الآية ٢١.

(٥) ص (٤٣١).

(٦) ص (٤٥).

(٧) سورة الأنعام الآية ٥٧.

وقول الله U (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ((٢٦)) (١).

وقال فضيلة الشيخ محمد أمان جامي: في (حقيقة الديمقراطية) (والديمقراطية لفظة أجنبية معناها حكم الشعب، أي الشعب هو الذي يسن القوانين لنفسه، ويشرع التشريعات المناسبة غير ملتفت إلى شرع الله، بحيث يكون الشعب نفسه هو السلطة التشريعية، وهو الإله المعبود، ويتم ذلك بواسطة نواب البرلمان الممثلين للشعب).

وقال أيضاً: وهو يتحدث عن منشأ فكرة الديمقراطية (إن فكرة منشأ الديمقراطية وليدة تفكير، نشأ عن الغرب النصراني الذي أعرض عن شريعة الله، بل غير وحرف في الكتب السماوية، ليفعلوا ما يشاءون.. والذي أريد أن أصل إليه أن الغرب النصراني أراد أن يتخلص من ظلم ملوكهم؛ فعقدوا اجتماعات ومؤتمرات كثيرة، فقرروا أخيراً نظرية (سيادة الشعب) وهي نظرية تنطلق من تصور إلحادي؛ إذ يتصور أن الناس خلقوا، ثم أهملوا فتركوا دون أن تنظم حياتهم، ويبين لهم الخير من الشر، والنافع من الضار، ليتخلصوا بأنفسهم في محاولة تصريف شئونهم، من هنا نشأت فكرة (السيادة للشعب)، وأن الشعب هو صاحب السلطة بدل سلطة الملوك، وهي فكرة ملحدة تتنافى مع قوله U ( وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ((٣٦)) (٢).

وقال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي: في رسالة (نداء إلى الأمة الإسلامية) (٣) بدأها بعد بسم الله الرحمن الرحيم: (إن حل مشاكلكم أيها المسلمون لا يكمن في الديمقراطية، ولا في الديكتاتورية، وإنما يكمن والله الذي لا إله إلا هو في الإسلام، في عقائده وتشريعاته ومنهجه، قال الله U مخاطباً أمة الإسلام ( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ((١٠٣)) (٤)

وقال تعالى (نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) (٥)، وقال الله U (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ

(١) سورة الكهف الآية ٢٦.

(٢) سورة النحل الآية ٣٦.

(٣) بتاريخ ١٧/١٠/١٤٢٦.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٥) سورة الأعراف الآية ٣.

يَقْصُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧) <sup>(١)</sup>، وقال تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) <sup>(٢)</sup>.

يا معشر المسلمين : الديمقراطية من وضع وتأصيل أعداء الإسلام، واجهوا بها علماء ضلال ووثنية وكهنة شر وفساد، وواجهوا بها ديكتاتوريات بلغت غاية الاستبداد والظلم، سحقت تلك الديكتاتوريات شعوبها سحقا بعد أن استبعدتها وسلبتها حريتها سلبا مهلكا، وحولتها إلى قطعان من الحيوان، وليس للمظلومين دين يواجهون به هذا الواقع، فاخترعوا ما يسمى بالديمقراطية؛ أي: حكم الشعوب بالشعوب؛ لأنه ليس لهذه الشعوب أديان يوجد فيها العدل والإنصاف، والعقائد الصحيحة، فوجدوا فيها متنفسا على فجورها وكفرها وظلمها وانحطاطها وتحللها من الأخلاق والإنسانية).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصائي: (الديمقراطية كفر؛ لأنها هي حكم الشعب نفسه بنفسه، وهذا كفر فمن آمن بالله ربا ولم يؤمن به إلها، فإنه يكفر، قال الله **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَأَجَلَ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**) <sup>(٣)</sup>. وقال الشيخ خالد العنبري: كما في كتابه (فقه السياسة الشرعية) <sup>(٤)</sup> (ليس بين الإسلام والديمقراطية من نسب ولا سبب، فلا ديمقراطية في الإسلام).

وقال في (فقه السياسة الشرعية) <sup>(٥)</sup>: (إن التأمل في أصول الديمقراطية يانصاف يؤدي إلى القول بأن الإسلام والديمقراطية لا يلتقيان أبدا).

وقال أيضا <sup>(٦)</sup>: (والديمقراطية تستبعد حق الله في الحكم بين الناس في الوقت الذي تقوم فيه على أن الشعب مصدر جميع السلطات لا سيما السلطة التشريعية).

وقال الشيخ بكر أبو زيد بن عبد الله: في كتابه (معجم المناهي اللفظية) <sup>(٧)</sup> (كما أنه لا يجوز أن نقول اعتزالية الإسلام ولا أشعرية الإسلام، ولا جهمية الإسلام، فكذلك نقول لا يجوز أن نقول عالمية الإسلام، أو ديمقراطية الإسلام، أو اشتراكية الإسلام، وهكذا فليتنبه).

(١) سورة الأنعام الآية ٥٧.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٥٢.

(٤) ص (١٢).

(٥) ص (١٣، ١٤).

(٦) ص (٢١٢).

(٧) ص (٣٧١).

وقال الشيخ محمد عبدالله الإمام: في كتابه (تنوير الظلمات)<sup>(١)</sup>: (والديمقراطية هي الإله المشرع، ولا اعتراف لله بالألوهية، ولا يخفى على كل مسلم أن هذا هو الكفر الأكبر، والشرك الأكبر، والظلم العظيم).

وقال أيضا: في نفس المصدر<sup>(٢)</sup> (كما أنه لا يجوز لنا أن نقبل الكفر، والشرك فالديمقراطية كفر، وشرك وإجرام، فكيف يجوز للمسلم أن يتناقض (إلى أن قال): والذي يقبل أن يكون تقارب مع الديمقراطية يكون بدون عقل وبدون إيمان).

وقال في نفس المصدر<sup>(٣)</sup>: (ولو تقاربنا مع الديمقراطية، فلن يصح إسلامنا أبدا حتى نكفر قال الله U ( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ))<sup>(٤)</sup>.

وقال في نفس المصدر<sup>(٥)</sup>: (ولا شك ولا ريب أن الديمقراطية ليست، هي الشورى التي شرعها الله لا في الأصل، ولا في الفرع، ولا في الكم ولا في الجزء، ولا في المعنى ولا في المبنى).

وقال أيضا<sup>(٦)</sup>: (والديمقراطية يقوم بها أهل كفر وإجرام أو جهل من رجال ونساء).

وقال أيضا<sup>(٧)</sup>: (أما الديمقراطية، فإنها وضعت أساسا لمصادرة أحكام الله

قال تعالى (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ))<sup>(٨)</sup>.

وقال أبو عبد السلام حسن قاسم الحسني: - في كتابه (الأدلة الشرعية)<sup>(٩)</sup>: وهو يرد على شبهة للإخوان وهي: أن النظام الديمقراطي أفضل من النظام الديكتاتوري، فقال حفظه الله: (ولا يستلزم منا أن نأخذ بالنظام الديمقراطي الكافر هروبا من النظام الديكتاتوري).

وقال عثمان بن عبد السلام نوح: في كتابه (الطريق إلى الجماعة الأم)<sup>(١٠)</sup>: (إن الديمقراطية هي رأس الشرك السياسي، وهي تعني أن يكون الحكم للشعب، وأن الشعب هو مصدر السلطة التشريعية، سواء كان هذا الحكم مخالفا للدين أو موافقا له، وهذا الشرك واضح لا نزاع فيه).

---

(١) ص (٧، ٨).

(٢) ص (٢٠).

(٣) ص (٢٧).

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

(٥) ص (٢٨).

(٦) ص (٣٤).

(٧) ص (٣٥).

(٨) سورة المائدة الآية ٥٠.

(٩) ص (١٧١).

(١٠) ص (٤٦).

وقال الشيخ إبراهيم بن حماد الرئيس: في كتابه: (قف إنها العلمانية)<sup>(١)</sup>: (إن الديمقراطية تعني أن الشعب هو مصدر التشريع، وهو صاحب الحق في وجود أمر أو اختفائه أو منعه، والمراد بها حكم الشعب بالشعب).

وقال الشيخ محمد شاکر شریف: في كتابه (حقيقة الديمقراطية) بعد أن ذكر شر الديمقراطية وخبثها: (فنسأل جميع المسلمين الذين عندهم الغيرة على دين الله من هو صاحب السيادة، ومن صاحب السلطة العليا، الآمرة الناهية المشرعة، التي تعلو فوق جميع السلطات؟ وقبل أن يجيب المسلمون فقد أجابت الأنظمة الديمقراطية على هذا السؤال بوضوح تام، وصراحة كاملة، وقالت: إن صاحب السيادة هو الشعب أو الأمة، فيقال على هذا: السيادة للشعب أو للأمة). وقال صاحب كتاب (الإخوان المسلمون في ستين عاما)<sup>(٢)</sup>: (والديمقراطية شرك بالله، والفاصل بين الديمقراطية والتوحيد أن التوحيد يجعل التشريع لله، والديمقراطية هي حكم الشعب لصالح الشعب، المشرع في الديمقراطية هو الشعب، والمشرع في التوحيد هو الله U فالديمقراطية شرك بالله؛ لأنها نزع حق التشريع من المولى U وأعطته للشعب<sup>(٣)</sup>).

المبحث العشرين: السياسة الشرعية لدى الإخوان المسلمون في موقفهم من الفكر

#### الاشتراكي:-

##### المطلب الأول: علاقة الإخوان بالاشتراكية:-

ظل سيد قطب على عدائه الشديد لجماعة الإخوان المسلمين وزعيمهم حسن البنا، حتى سافر إلى أمريكا مبعوثا من وزارة المعارف، وكان على رأسها في ذلك الوقت طه حسين، وحين عاد من هناك عين مستشارا لوزارة المعارف، ولكنه كان قد تحول خلال الفترة التي أمضاها في أمريكا فأصبح شديد العداء للرأسمالية والمجتمع الرأسمالي، شديد التأيد للاشتراكية والعدالة الاجتماعية.

عاد سيد قطب من أمريكا لا ليكتب في الأدب والنقد كما كان يفعل قبل أن يسافر إليها، بل عاد ليكتب في الاشتراكية مطعما كتاباته فيها باجتهادات إسلامية. فكتب كتابه الذي جاء بعنوان (العدالة الاجتماعية في الإسلام) ثم كتاب (معركة الإسلام والرأسمالية)، وهو من أخطر ما كتب سيد قطب على الإطلاق، فهو يعقد في هذا الكتاب حلفا بين الإسلام والشيوعية، مستبعدا أي تلاق بين الإسلام والرأسمالية، ويقول إن الشيوعية اجتهد للبحث عن العدل أقحمت نفسها

(١) ص (٣٨).

(٢) ص (٨).

(٣) الإخوان المسلمون والديمقراطية، ص (١٢٥ - ١٣١).

في الكلام عن الدين بغير مبرر، وعادت الدين بغير مقتضى، ولكنها وصلت إلى العدل الاقتصادي والاجتماعي الذي هو أحد، وأهم، أهداف الدين، وأضاف سيد قطب مفسراً أن الشيوعية لو تخلت عن فكرة الإلحاد التي هي ليست من ضرورات المذهب ، ولا يتطلبها الفكر الاقتصادي، لالتقت مع الإسلام في العدالة الاجتماعية.

أما الرأسمالية في رأى سيد قطب فإن القرآن في معظم آياته يطارد الكنز والتراكم ويدعو إلى تداول الأموال بين الأجيال ( مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) )<sup>(١)</sup>.

حين بدأ سيد قطب في تطعيم الاشتراكية بالإسلام، كان حسن البناء قد وافته المنية، في أوائل الخمسينيات، وبدأ حسن الهضيبي الذي أصبح على رأس الإخوان والذي كان ينكره الإخوان القدامى يبحث عن أنصار له مما جعله يضئ نفسه بحثاً عن إخوان جدد يدينون له بالولاء زعيماً وأباً للجماعة، وقد رأى الهضيبي أن الأعضاء الذين ينضمون للجماعة حديثاً ليس لهم فضل سبق الذي يتميز به الإخوان القدامى على الهضيبي نفسه، فيحول بينه وبين ولاتهم له، ولهذا راح الهضيبي يبحث له عن أعضاء جدد يتميز هو عليهم. وقد وجد حسن الهضيبي ضالته المنشودة في سيد قطب خاصة أن الكثيرين من شباب الإخوان قد استهوهم دعوته للاشتراكية الإسلامية. ولكن سيد قطب الذي اقترب كثيراً من الإخوان بعد تحوله الغريب والمفاجئ، كان في اقترابه اشتراكياً، فقد رفض أن يكتب في مجلة (الدعوة) لسان حال الإخوان المسلمين مفضلاً الكتابة في مجلة (الاشتراكية).

وقال الغزالي (وهو أحد منظري الإخوان): (وأرى بلوغ هذه الأهداف يستلزم أن نقبض من التفاصيل التي وضعتها الاشتراكية الحديثة مثلما اقتبسنا صوراً لا تزال مقتضبة من الديمقراطية الحديثة)<sup>(٢)</sup>.

#### المطلب الثاني: الفكر الاشتراكي في ميزان السياسة الشرعية:-

يتلخص مذهب الاشتراكية في أن سلوك الإنسان في جميع الظروف والأحوال يخضع للدوافع الاقتصادية التي تقرر بدورها طبيعة التنظيمات الاجتماعية والسياسية على حد سواء، وأن هناك صراعاً مستمراً بين الطبقات الاجتماعية، وأن النظام الرأسمالي المعتمد على الملكية الخاصة سيتحطم وينهار، وأن النتيجة المنطقية لهذا الانهيار هي الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج.

(١) سورة الحشر الآية: ٧.

(٢) ينظر الإسلام المفترى عليه، ص (٦٦).



ولا يتم ذلك إلا بنقل الشركات وجميع المرافق وجميع العقارات من أيدي ذويها، مساهمين ومالكين، إلى يد الحكومة، بحيث تصبح هذه المرافق المنتجة للثروة ملكا للأمة.

وبدلا من أن تكون ملكا لفئة من الناس يبتزون أرباحها وحدهم، تصبح الأمة كلها مساهمة فيها، وأرباحها تعود للأمة كلها، ويصبح كل شيء مشاعا بين الناس جميعا، فتقسم الأموال بينهم إما بالتساوي، أو بأن يأخذ كل إنسان بقدر احتياجه، ومن ثم لا يشعر بالفقر أو الحرمان، ويصبح الناس كلهم أغنياء.

وهذا المذهب يدعي أصحابه وأنصاره وهم الماركسيون القدماء والمحدثون في الشرق والغرب على السواء أنه هو المذهب الديمقراطي، الذي لابد أن تسير عليه جميع الشعوب والمجتمعات، لأنه هو الحل الوحيد لجميع المشكلات التي يعاني منها الإنسان.

ولكن الحقيقة التي لا تخفى على أحد خاصة في هذه الأيام التي بلغت فيها وسائل الإعلام تقدما كبيرا هي أن الشعوب التي تدعي أنها تطبق هذا النظام لأنه هو المذهب الديمقراطي الذي لا يشعر أحد تحته بظلم كما يزعمون لم يكن ادعاؤها هذا صحيحا، ولم يكن بالفعل هو النظام الأمثل كما يقولون؛ لأنه لا يوجد بالفعل في البلاد المحكومة بهذا اللون من الحكم مجتمعا عاليا؛ بل ولا ديمقراطية اقتصادية، لأن مظاهر الطغيان واضحة هناك.

فالحرريات معدومة، والمساواة التامة بين الناس لا وجود لها، حتى في المسائل الاقتصادية، وأجور العمال والفروق الكبيرة بين الناس، واستبداد الدولة الجائر بالفرد لا حد له، والحكم وقف على حزب واحد هو الحزب الشيوعي، وعلى حاكم واحد يستحيل إقصاؤه عن رئاسة الدولة بالطرق الدستورية، والانتخابات صورية، وهي قوائم بأسماء يختارها الحزب ويشيعها على الأمة وينتخبها الناخبون، وليس هناك مرشحون سواهم، وسلطان البوليس السري الجبار لا يقف عند غاية، والحكومة تسير على النظام الفردي الاستبدادي.

وبالرغم من ذلك كله، يهتف أنصار هذا المذهب بشعارات الديمقراطية والحرية والإخاء والمساواة.. إلخ، وكثيرا ما يسمع منهم كلام عن الظلم الاجتماعي، والعدالة الاجتماعية، لأنهم يزعمون أنهم يحاربون الظلم، ويقررون العدالة، ولكن الواقع شاهد على كذب هذه الدعاوى.

وفي المجتمع العربي الإسلامي وجد أنصار لهذا المذهب، أعجبوا به، وراحوا يعملون على نشره، ظانين أنه يدعو إلى ما يدعو إليه الدين الإسلامي، وأنه ليس هناك فرق بينهما، ويرون أن الإسلام إن كان يدعو إلى الإخاء والمساواة والعدل، وكذلك الاشتراكية تدعو إلى هذه المبادئ، فلا بأس من اعتناق الاشتراكية.

وعندما أراد أنصار هذا المذهب أن يوفقوا بين الإسلام والاشتراكية، استدلوا بما دعا إليه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ؓ استدلوا به وهو واحد من آلاف الصحابة y وتركوا سائر الصحابة، وفيهم الخلفاء الراشدون والعشرة المبشرون بالجنة، والمهاجرون الأولون، والأنصار الذي أحبه الرسول ﷺ وجعل حبهم من الإيمان.

لقد تركوا هؤلاء جميعا، واستدلوا بهذا الصحابي، وأطلقوا على دعوته الاشتراكية وسموه بالصحابي الاشتراكي، وأحيانا الشيوعي، وقد يتوسع بعض الناس فيسمي رأيه (الشيوعية الإسلامية) تزيينا لدعوته للمسلمين إلى الشيوعية الماركسية، وتحبيبا وإغراء لهم، جريا وراء الهوى والغرض، وكل يدعي وصلا بليلي وليلى لا تقرر لهم بذلك<sup>(١)</sup>.

ولكن شتان بين هذا وذاك، شتان بين الإسلام، والاشتراكية الماركسية وهذا ما يظهر خلال الحديث عن موقف الإسلام من الاشتراكية وذلك بعد الإشارة إلى دعوة أبي ذر الغفاري والفرق بينها وبين الاشتراكية الفاجرة.

#### دعوة أبي ذر الغفاري.. إسلامية وليست شيوعية:-

في عهد الخليفة عثمان بن عفان ؓ قام أبو ذر الغفاري يدعو الأغنياء إلى مواساة الفقراء والجيران والمساكين وذوي الحاجة، والتنازل لهم عما زاد عن حاجتهم وحاجة من يعولونهم، وينهاهم عن البذخ والترف واكتناز الأموال، والترفع على الفقراء والمستضعفين من الناس، وكان يحذر الأغنياء ويقول لهم: (بشر الذي يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم)<sup>(٢)</sup>.

ولقد اعتمد أبو ذر في دعوته على أحاديث سمعها عن النبي ﷺ، وعلى آيات القرآن التي تحث على الإنفاق والبذل لكل محتاج.

عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا أبا ذر أي جبل هذا قلت أحد يا رسول الله قال والذي نفسي بيده ما يسرني أنه لي ذهبا قطعاً أنفقته في سبيل الله ادع منه قيراطا قال قلت قنطارا يا رسول الله قال قيراطا قالها ثلاث مرات ثم قال يا أبا ذر إنما أقول الذي أقل ولا أقول الذي هو أكثر"<sup>(٣)</sup>.

أي إنه ﷺ لا يجب أن يكون له مثل أحد ذهبا وفضة يظل ينفق منه على الفقراء والمساكين والصالح العام، ثم تعجله المنية، وفي يده قيراط لم ينفقه في سبيل الله.

(١) ينظر: إسلام لا شيوعية ص (١٦، ١٧)، وفتاوى عن الشيوعية، د: عبدالحليم محمود ص (١٥)، والرد على الملحدين، أ/محمد

عبدالمعنى خفاجي، ١٩٦١، دار الكرنك، ص (١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب في الكتاين الأموال والتغليظ عليهم (٦٩٠/٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٤٩/٥) رقم (٢١٦٥٥).

وعن غزوان بن أبي حاتم: (قال عثمان لكعب (رضي الله عنهما): يا أبا إسحاق أرأيت المال إذا أدى زكاته، هل يخشى على صاحبه فيه تبعه؟ قال: لا. فقام أبو ذر **t** ، ومعه عصا، فضرب بها بين أذني كعب، ثم قال: يا ابن اليهودية. أنت تزعم أنه ليس حق في ماله إذا أدى الزكاة، والله **U** (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) <sup>(١)</sup>، والله **U** يقول (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) <sup>(٢)</sup>، والله **U** يقول (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) <sup>(٣)</sup>. فجعل يذكر نحو هذا من القرآن) <sup>(٤)</sup>.

ولقد دعا أبو ذر **t** إلى مبادئه هذه وهو بالشام في أيام ولاية معاوية بن أبي سفيان **t** من قبل عثمان بن عفان **t**. وكان يرى أن النصوص التي استند إليها ملزمة للناس بالإنفاق، فلا يليق بهم أن يدخروا مالا وحوْلهم جِيع ولو أدوا زكاة المال، وخاف معاوية أن تحدث فتنة، وأن ينال نظام المال من جرائها اضطراب وزلزلة، وحاول أن يثنيه عنها، فلم يستطع. فكتب بشأنه إلى عثمان **t**. فطلب إليه عثمان أن يرسله إليه في المدينة.

ولما عجز عثمان كذلك عن منعه عن نشر دعوته، ورأى تماديه في الاجتماع بالناس وبشهم مبادئه، اضطر إلى نفيه إلى (الربذة)، وهي قرية صغيرة في ضواحي المدينة، فظل بها حتى وافته منيته **t** قال زيد بن وهب: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر **t** فقلت: ما أنزلك هذا؟ قال: كنت بالشام واختلفت أنا ومعاوية في قول الله **U** (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)) <sup>(٥)</sup>. فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب، وقلت: نزلت فينا وفيهم، فكتب إلي عثمان يشكوني.

فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها. فكثر على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك. فذكرت ذلك لعثمان، فقال: إن شئت تنحيت فكنت قريباً. فذاك الذي أنزلي هذا المنزل <sup>(٦)</sup>. وبهذا يتبين أن أبا ذر وقف وحده هذا الموقف، ولم يكن وراءه أحد من الناس إلا أتباع فقراء يتحمسون لدعوته، ووقف عثمان ومعه الصحابة موقفاً آخر إلا أنهم رأوا أن ما يقوله أبو ذر ليس

(١) سورة الحجرات الآية ٩.

(٢) سورة الإنسان الآية ٨.

(٣) سورة الذاريات الآية ١٩.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٩٥/٣)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١٩٧/٦٦).

(٥) سورة التوبة الآية ٣٤.

(٦) المساواة في الإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، سلسلة أقرأ، عدد ٢٣٥/ب ت، ص (١٣٢ - ١٣٤).

خطأ محضاً؛ بل هو زهد ودرجة عالية في التقرب إلى الله فوق الواجب الذي أمر الكافة به، وليس للحاكم أن يجبر الناس على هذه الدرجة العالية من الزهد.

وبموت أبي ذر  $\text{ؓ}$  تنتهي دعوته، فلا نرى صحابياً آخر يحمل لواءها ويضحي في سبيلها، ولعل الجميع قد اقتنع بالرأي المخالف لأبي ذر، ولعل كثرة المال في يد الناس وحرصهم عليه حينئذ ساعدت على انتصار هذا الرأي المخالف.

ويبدو أن الرأي الذي نادى به الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، بأنه لا يجوز لمسلم أن يمتلك أكثر من حاجته، اجتهاد إسلامي صحيح في الظروف غير العادية التي مرت بها الأمة الإسلامية حينئذ وأخصها ظهور فئات ممعنة في الغنى والترف بينما الكثيرون يعانون الفقر والحرمان؛ وذلك لأن الإسلام لا يسمح بهذا الغنى والترف إلا بعد كفالة حد الكفاية لكل مواطن، ولا يتصور التفاوت في الدخول إلا بعد إزالة الفقر، والقضاء نهائياً على الجوع والحرمان.

وعليه، فإن دعوة أبي ذر هذه، موافقة لما جاء به الإسلام، وليس فيها إفراط ولا مبالغة إلا من ناحية واحدة، وهي أن أبا ذر كاد يوجب على الأغنياء، أن ينفقوا في سبيل الله وسد حاجات المعوزين، جميع ما فضل من أموالهم عن ضروريات حياتهم وحياة من يعولونهم، على حين أن الإسلام يحجب إلى الأغنياء هذا المسلك، ولكنه لا يوجب عليهم إيجاباً، ويعتبر المسلم مؤدياً لواجبه المالي ما دام لم يقصر فيما فرضته الشريعة أو أوجبت عليه من زكاة، وصدقات مقررة، ونفقات على الأهل، وما إلى ذلك.

بيد أن هذا كما لا يخفى هو أضعف الإيمان. ومن فوقه منازل رفيعة في الإسلام تتدرج في سموها وقربها إلى الله  $\text{ﷻ}$ ، حتى تصل إلى المثل الأعلى الذي حث عليه أبو ذر واستوحاه من روح الإسلام ومثاليته<sup>(١)</sup>.

وقد أخطأ كثير من الباحثين إذ يعدون دعوة أبي ذر هذه من قبيل الاتجاهات الاشتراكية، وهذا خطأ فادح. فالحق أنها هي والشيوعية على طرفي نقيض، لأنها مأخوذة من تعاليم الإسلام وهي إذ تحت الملاك على أداء زكاة أموالهم، وعلى البر بالفقراء وذوي الحاجة، تعمل بذلك على تثبيت الملكية الفردية وحمايتها من كل ما يتهدها من ثورة أو انتقاص من جانب الفقراء والمحرومين، كما تعمل بذلك أيضاً على اتقاء الصراع بين طبقات الأغنياء والفقراء وبين أصحاب رؤوس الأموال والعمال، وعلى إقرار التعايش السلمي بين الناس، على حين أن الشيوعية أو الاشتراكية تعمل على إلغاء الملكية الفردية، وجعل الملكيات كلها ملكيات جماعية، وتمهد لذلك

(١) ينظر: المساواة في الإسلام ص (١٣٤). وانظر أيضاً ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية، د/محمد شوقي الفنجري، هدية مجلة الأزهر جمادى الأولى سنة ١٤٢٤هـ، ص (٥٤، ٥٥).

بإثارة الصراع بين الطبقات. ومن أجل ذلك تعتبر دعوة أبي ذر وجميع التعاليم السمحة التي من طرازها من ألد خصوم الشيوعية.

ولا يؤخذ على أبي ذر إلا محاولة تعميم هذا الاتجاه، مدعيا بأن هذا هو حكم الإسلام في كافة الظروف في حين أنه لا يعبر عن حكم الإسلام إلا في الظروف غير العادية، بحيث لا يلجأ إليه إلا استثناء كعلاج مؤقت وبقدر الضرورة. الأمر الذي عبر عنه سيدنا عمر بن الخطاب بقوله: (إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سددها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا تأسيسا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف)<sup>(١)</sup>.

بينما يرى الاشتراكيون أن الملكية الخاصة هي السبب في فقر كثير من الناس الذين لا يجدون ما يملكون، ومعيشتهم لا تقوم إلا على الأجر البسيط الذي يتقاضونه مقابل عملهم، ولكنه لا يكفيهم، بينما يتمتع الملاك، وأصحاب رؤوس الأموال بأرباح طائلة، تفيض عن حاجتهم، ولكن الأنانية تجعل هؤلاء الملاك (الرأسماليين) لا يعطون أحدا من هذا الفائض، مما أشعر الفقراء بالظلم.

ومن ثم فقد رأى الاشتراكيون أن الحل الوحيد لهذه المشكلة، هو نزع الملكية الخاصة من يد أصحابها، ونقلها إلى يد الحكومة لتصبح ملكية عامة للجميع، وبذلك يصبح الناس كلهم أغنياء، وتزول من بينهم البغضاء والشحناء والحسد والكراهية، لأنهم تساوا جميعا في هذا الجانب. في حين أن الإسلام يقر الملكية الخاصة التي يمتلكها الأفراد، ولا يعارضها ما دامت من طريق مشروع. ولم يترتب عليها ضرر للآخرين،

والسند الشرعي لهذه الملكية ثابت بأدلة كثيرة، منها:-

١ - تشريع الزكاة الوارد في نصوص القرآن والسنة، وإجماع الأمة، وكان الرسول ٣ يعين عمالا يجمعون الزكاة من الأفراد وهذا يدل على وجود الملكية الخاصة وإقرار الإسلام لها.

٢ - ما شرعه الإسلام من بيع وشفعة ووصية ووقف ونحوها، وهذه المعاملات لا تتم إلا إذا كانت هناك ملكية خاصة للشيء.

٣ - ما ثبت من إيواء الأنصار للمهاجرين، وإشراكهم إياهم بمحض اختيارهم في منازلهم وأرضهم، وقد بقي اختصاص الأنصار بما يملكون استقلالاً، وتصرفاً، وانتفاعاً، وتوفي رسول الله ٣ وهم على هذا النحو.

٤ - عن يحيى بن عروة قال: (قال رسول الله ٣: من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق. قال عروة: ولقد أخبرني الذي حدثني هذا الحديث أن رجلاً غرس في أرض رجل من

(١) ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية، ص (٥٥).

الأنصار من بني بياضة نخلا. فاختصما إلى النبي ٣. فقضى للرجل بأرضه. وقضى على الآخر أن ينزع نخله، قال: فلقد رأيتها يضرب في أصولها بالفؤوس وأنها لنخل عم<sup>(١)</sup>، أي طوال واحدها عميم.

وهذا الحديث يبين إقرار الإسلام للملكية الخاصة؛ بل وحمايته لها، بدليل أن النبي ٣ قضى بقطع النخل التي اعتدى صاحبها بغرسها في أرض غيره.

ولم يكتف الإسلام بإقراره للملكية الخاصة فحسب؛ بل أحاطها بسياج قوي من الحماية كما تدل على ذلك الحدود والعقوبات الدنيوية والأخروية، التي يقررها لمختلف أنواع الاعتداء على الملكية كالسرقة وقطع الطريق والغصب ونقل حدود الأرض... إلخ ففي السرقة، وهي الأخذ من الملكية الخاصة للآخرين بغير حق، يقرر الإسلام عقوبة قطع اليد، قال الله U (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) <sup>(٢)</sup>.

ولم يتشدد الرسول ٣ في تنفيذ حد مقدار تشدده في تنفيذ حد السرقة، وليس ادل علي ذلك من موقفه عندما جاءه أسامه بن زيد وهو من أحب الناس إليه، ليشفع في فاطمة بنت الأسود المخزومية، وكان قد وجب عليها حد السرقة، لسرقته قطيفة وحليا، فأنكر الرسول ٣ شفاعه أسامة على حبه له، وانتهره قائلا: "أتشفع في حد من حدود الله؟! ثم قام فخطب فقال: "أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"<sup>(٣)</sup>.

هذه العقوبة بالنسبة للسرقة العادية، أو ما يسميه الفقهاء بالسرقة الصغرى. وأما قطع الطريق، أو ما يسميه الفقهاء بالسرقة الكبرى، فعقوبته أشد من ذلك كثيرا، فعقاب قطاع الطريق يكون بالقتل أو الصلب أو كليهما معا إن قبض عليهم بعد أن سلبوا المال وقتلوا النفس، وبالقتل فقط إن كانوا قد قتلوا النفس ولم يكونوا قد سلبوا مالا بعد، وبتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف بأن تقطع من كل واحد منهم يده اليمنى ورجله اليسرى إذا كانوا قد سلبوا المال فقط، وبالحبس إذا كان القبض عليهم تم قبل أن يقتلوا نفسا أو يأخذوا مالا. هذا إلى ما توعدهم الله به من عذاب عظيم في الآخرة.

وفي هذا يقول الله U (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي

(١) أخرجه أبو داود (١٧٨/٣)، في الخراج، باب: في إحياء الموات (٣٠٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٩/٦)، في كتاب الغصب

باب ليس لعرق ظالم حق.

(٢) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٣) تقدم.

الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>.

وأما الغصب ونقل حدود الأرض، فحرام لما روى البخاري عن عائشة عن النبي ﷺ: "من أخذ من الأرض شبرا بغير حق، خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين"<sup>(٢)</sup>.

وما روى مسلم عن سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: "من اقتطع شبرا من الأرض ظلما، طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين"<sup>(٣)</sup>، كما توجب الشريعة الإسلامية على الغاصب أن يرد الشيء المغصوب، إن كانت أرضا فغرس فيها أو بنى، يقلع الغرس ويهدم البناء، وإن كان قد بدده أو أتلفه، فإن عليه أن يرد قيمته، ويوقع على الغاصب عقوبة التعزير في جميع الحالات، وقد أجاز الإسلام في سبيل حماية الملكية الخاصة للمالك أن يدفع عن ملكيته بكل وسائل الدفاع، حتى لو ألجأه ذلك إلى قتل المعتدي، وفي هذه الحالة لا قصاص عليه. وإذا قتل هو يكون شهيدا، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: "من قتل دون ماله فهو شهيد"<sup>(٤)</sup>، بل إن الإسلام لينهي عن مجرد النظر بعين فهمة إلى ملكية الغير، قال الله ﷻ (وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)<sup>(٥)</sup>.

ولما كانت الملكية الخاصة لم تتوقف عند امتلاك الأشياء العينية فحسب؛ واشتملت القوى الجسمية والعقلية أيضا، فإن الإسلام أحاط أصحابها بحماية لا تقل في قوتها عن حمايته للأشياء العينية فجعل للعامل الحق في ملكية أجره. وعلى أساس هذه النظرة، فقد دعا الإسلام إلى الوفاء بأجر العامل، وأندر من يجور عليه من أصحاب العمل بحرب وخصومة من الله، يقول النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه في الحديث القدسي: (يقول الله ﷻ: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراما فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره)<sup>(٦)</sup>.

وهذه المبادئ يطبقها الإسلام على جميع أنواع الأعمال المباحة سواء كانت جسمية أو عقلية.

وإذا كان الإسلام قد أقر الملكية الخاصة، وعمل على حمايتها، ولم يقف في طريقها، ودعا

(١) سورة المائدة الآية ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤/٥)، في المظالم، باب: إثم من ظلم شيئا من الأرض (٢٤٥٤)، وفي (٣٣٨/٦)، بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين (٣١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٣/٥) في المعالم، باب: إثم من ظلم شيئا من الأرض (٢٤٥٢)، وأخرجه (٢٩٣/٦)، في كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين (٣١٩٨)، ومسلم (١٢٣١/٣)، في المساقاة، باب: تحريم الظلم وغصب الأرض (١٦١٠/١٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٧/٥) كتاب المظالم، باب: من قاتل دون ماله، برقم (٢٤٨٠)، ومسلم (١٢٤/١)، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره، برقم (١٤١/٢٢٦).

(٥) سورة طه الآية ١٣١.

(٦) أخرجه البخاري (٥٢٣/٤) كتاب الإجارة، باب: إثم من منع أجر الأجير حديث (٢٢٧٠).

الناس إلى العمل والكسب من أجلها، فإن هذا كله ليس من أجل الفرد وحده؛ بل من أجل غيره أيضاً، ولذلك فإن الإسلام جعل للآخرين حقوقاً في الملكية الخاصة يأخذونها، حتى إن البعض منهم يأخذ هذه الحقوق، وهو غير محتاج إليها.

وتتمثل هذه الحقوق في الميراث، والزكاة، والخراج، والصدقات الموسمية، والكفارات، والنفقة على الأهل إلى غير ذلك من الحقوق الواجبة على المالك تجاه الآخرين.

والإسلام يراعي في ذلك ذاتية الفرد وكيان الجماعة، لا من الناحية المادية وحدها؛ بل من النواحي الإنسانية المختلفة، ومن بينها الفطرة والعاطفة والهوية، ومن بينها الغرائز الاجتماعية التي تقيم الأسرة، وتقيم المدنية، ومن بينها الجماعة الإنسانية بوجه عام.

فالإسلام لم ينكر ذاتية الفرد، ولم ينكر حقه في التملك، لكنه قدر إلى جانب ذلك أن الجماعة يجب ألا تبلغ من حماية الذاتية الفردية حداً يزيد القوي قوة والضعيف ضعفاً، ويكون ذلك سبباً في تداعي الجوانب السامية في الإنسان جوانب الإيثار والمحبة، وما إليها من عواطف أصيلة في النفس هي قوام الأسرة والمجتمع كله<sup>(١)</sup>.

#### المطلب الثالث: من ملامح الاشتراكية عند الإخوان تجويز مفكرتهم للتأميم:-

أقر الإخوان مذهب الاشتراكية وقالوا به، ومن الذين قالوا به سيد قطب ومصطفى السباعي والغزالي ودعا سيد قطب إلى أن الدولة بيدها الاستيلاء على الممتلكات وانتزاع الثروات من أهلها، وكذا إعادة توزيع ما انتزعت من جديد، حتى ولو قامت الدولة على أسس الإسلام الثابتة<sup>(٢)</sup>.

والإسلام لا يقر التبتل أو الكسل الناتج عن كثرة الثراء واكتناز المال، فلا أجر ولا جزاء إلا على الجهد والعرق الذي يبذله الإنسان.

وقد حرم الإسلام الثراء والأموال على القاعدين كأن يكتسبه بالتسول دون أن يكذب ويعرق، أو يكتسبه بالنصب والاحتيال أو غير ذلك من الطرق غير المشروعة، ويجب على الدولة أن توظف هذا الثراء وتلك الأموال لصالح المجتمع، ولا تتركه للقاعدين المتبطلين ذوي الكسل<sup>(٣)</sup>.

فقد أجاز مفكرو الإخوان من خلال المذهب الاشتراكي تأميم الملكيات والثروات إذ تقوم الدولة بتأميم الممتلكات والثروات من المالكين مقابل دفع تعويض عادل لهم وفقاً للقانون الوضعي ٣١ من يناير سنة ١٩١٧م.

وقد أجاز سيد قطب<sup>(١)</sup> وضع نظام دولي لإلغاء الرق (العبودية) الذي شرعه الإسلام وجاء

(١) ينظر: الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة د/محمد حسين هيكل ص ٥٧/كتاب الحلال/عدد ١٢٠/مارس سنة ١٩٦١.

(٢) ينظر: معركة الإسلام والرأسمالية، ص (٤٣، ٤٤).

(٣) السابق، ص (٩٠).



ذلك في تفسيره لقول الله U (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧))<sup>(٢)</sup>، ومن ثم يجوز التأميم ويجوز إلغاء الرق لدى مفكري جماعة الإخوان.

وعلى رأس هؤلاء الإخوان: د/مصطفى السباعي في اشتراكية الإسلام<sup>(٣)</sup>، والشيخ محمد الغزالي في الإسلام والأوضاع الاقتصادية<sup>(٤)</sup>.

وترجع أولى تطبيقات نزع الملكية عن طريق التأميم إلى قيام الثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧م، واستيلائها على وسائل الإنتاج المملوكة للوطنيين والأجانب بدون تعويض، فضلا عن قيام الحكومة المكسيكية بعدة تأميمات على أثر دستور ٣١ يناير ١٩١٧م مقابل دفع تعويض عادل للمالكين<sup>(٥)</sup>.

بينما يرجع الدكتور عبد الباري ظهور نزع الملكية من أجل أغراض المنفعة العامة إلى العصور الوسطى<sup>(٦)</sup> هكذا أخذ الإخوان هذه الفكرة من قادات الغرب.

#### المبحث الواحد والعشرين: موقف الإخوان من الديكتاتورية:-

وقف الإخوان من الديكتاتورية موقف الثائر عليها الرافض لوجودها شكلا ومضمونا و قد دخل الإخوان في معركة لا تزال دائرة تلك المعركة التي دارت رحاها بين القوى الشعبية في مصر ممثلة في الإخوان المسلمين وبين عصابة العسكريين ممثلة في جمال عبد الناصر وحاشيته . إن هذه المعركة بين الإخوان المسلمين والأسلوب الديكتاتوري حركة طبيعية لأنها إمتداد لكفاح الشعوب الإسلامية ضد الاستعمار بكافة صوره وألوانه بل إنها إمتداد للحركة العربية في مصر وللثورة المهدية في السودان وللحركات التحريرية الإسلامية في تونس والجزائر ومراكش وفي سوريا وباكستان وفي كل قطر إسلامي دنسته أقدام الاستعمار .

(١) ينظر: في ظلال القرآن (١٦٦٩/٣)، (٢٤٥٥/٤)، (٣٢٨٥/٦).

(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٧.

(٣) سلسلة اخترنا لك رقم (١١٣)، الطبعة الثانية، ص (٩٩).

(٤) ص (١٠٤، ١٠٥).

(٥) ينظر: في ذلك التأميم في القانون الدولي الخاص، الدكتور أحمد صادق القشيري، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، العدد الأول - السنة الحادية عشر - يناير ١٩٦٩، ص (٢٥٧) وما بعدها، والنظام القانوني للاستثمارات الأجنبية الخاصة في الدول الآخذة في النمو، الدكتور عصام الدين مصطفى بسيم، ص (٢٤٥ - ٢٤٧).

(٦) ينظر: التأميم وآثاره في القانون الدولي العام، الدكتور عبد الباري أحمد عبد الباري، طبعة ١٩٧٢، بدون دار للنشر، ص (٢) وما بعدها.

## المبحث الثاني والعشرين: موقف الإخوان من التعصب والتطرف:-

من سمات المنتسبين لهذه الجماعة التعصب الشديد لشعار الجماعة وتنظيمها لأنهم أَرْضَعُوا هذا التعصب من كتابات الجماعة في سن المهدي في المراحل الأولى من الانتساب. ومن سمات المنتسبين لهذه الجماعة التعصب الشديد ضد السلفيين خاصة لأنهم ينظر القوم دعاة إلى الفرقة بين المسلمين هذا من جهة ومن جهة أخرى لأن السلفيين اعلم الناس بما في الجماعة من ضلال.

والحق أنهم يعدون المستجيبين لهم مميزين عمن لم تظهر منهم تلك الاستجابة وكثيرا من هؤلاء المستجيبين لدعوتهم الشاملة لجوانب الحياة كلها تنظيما لها أو تأثيرا فيها يرون أنهم يفهمهم لدينهم قد أصبحوا على الجادة وأن أولئك الذين لا يفهمون فهمهم ولا يتبعون ما يرونه من رأى على ضلال وزيف وانحراف عن الهدى .

لا شك أن التعصب المقيت مذموم .

ذمه شيخ الإسلام بن تيمية حين سئل عن قوم يتجمعون ويسمون أنفسهم حزبا ويتخذون لهم رئيسا هل عملهم هذا جائز شرعا فأجاب (إن هذا التجمع إن كان على ما أمر الله به ورسوله فهو خير وإن زاد أصحابه فيه ونقصوا كالتعصب لمن دخل في حزبهم بالحق أو الباطل والتعصب على من لم يدخل في حزبهم بالحق أو الباطل فهو تجمع مذموم لأنه من التفرق الذي نهى الله ورسوله عنه)<sup>(١)</sup> .

## المبحث الثالث والعشرين: موقف الإخوان من قضايا المرأة:-

يرى الإخوان انه لا مانع من خروج المرأة ومزاحمتها للرجل في العمل والمكتب وفي المدارس والجامعات وغير ذلك إذ هي شريك الرجل في حياته ولها ما له وعليها ما عليه<sup>(٢)</sup> .

وقد رأى أحد أكابرهم وهو حسن الترابي أن عزل النساء عن الرجال فيه مضرة وأن الاختلاط أحسن وأنسب وأليق لأن فيه صلاح المجتمع حسب زعمه الخاطئ وقال بقوله الشيخ الغزالي الذي أعجب بقائدات الغرب الكافرات اللاتي تولين المناصب الحكومية أمثال (أنديرا غاندي) الكافرة المجوسية عدوة الإسلام، واليهودية الماجنة المعلنة الحرب على الله ورسوله (جولدمائير) وكذلك الملكة النصرانية الفاجرة (فيكتوريا)، ورئيسة الوزراء السابقة (مارجريت تاتشر)، وقال بذلك أيضاً الإخواني الجزائري محفوظ نحاح، إلا أن هناك بعض منهم رفض اختلاط الرجال بالنساء وقالوا بعدم جواز دخول المرأة للعالم السياسي، ومنهم: أحمد القطان ومصطفى السباعي.

(١) الرسائل والمسائل، (١٥٣، ١٥٢/١).

(٢) ينظر : النصيحة والبيان لما عليه حزب الإخوان، ص ٣٥ .

وبجدر بنا في هذا المقام أن نذكر بعض جوانب النقد التي وجهت للإخوان في موقفهم من المرأة قال العلامة بن باز (رحمه الله): في رسالته (خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله) لقد ذكرنا من الأدلة الشرعية والواقع الملموس ما يدل على تحريم الاختلاط واشتراك المرأة في أعمال الرجال مما فيه كفاية ومقنع لطالب الحق ولكن نظرا إلى أن بعض الناس قد يستفيدون من كلمات رجال الغرب والشرق أكثر مما يستفيدون من كلام الله وكلام علماء المسلمين رأينا أن ننقل لهم ما يتضمن اعتراف رجال الغرب والشرق بمضار الاختلاط ومفاسده لعلهم يقنعون بذلك ويعلمون أن ما جاء به دينهم العظيم من منع الاختلاط هو عين الكرامة والصيانة للنساء وحمايتهن من وسائل الإضرار بهن والانتهاك لأعراضهن .

قالت الكاتبة الانجليزية الليدي كوك: (إن الاختلاط يألّفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا وهاهنا البلاء العظيم على المرأة إلى أن قالت علموهن الابتعاد عن الرجال أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد)<sup>(١)</sup>.

قال شوبنهاور الألماني: (قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا الذي دعي المرأة لمشاركة الرجل في علو مجده وبذخ رفعتة وسهل عليها التعالي في مطاعمها الدنيئة حتى أفسدت المدنية الحديثة بقوة سلطانها وديء آراءها)<sup>(٢)</sup>.

قال اللورد بيرون: (لو تفكرت أيها المطالع فيما كانت عليه المرأة في عهد قدماء اليونان لوجدتها حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة ولرأيت معي وجوب إشغال المرأة بالأعمال المنزلية مع تحسن غذائها وملبسها فيه وضرورة حجبتها عن الاختلاط بالغير)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ط ١ ص (٣٨)، دار المنتقى للنشر

والتوزيع ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

(٢) السابق نفس الصفحة.

(٣) السابق نفس الصفحة.